

الباب العاشر

التربية في القرن التاسع عشر

الحركة النفسية في التربية

فرواصرها الرئيسية

لا يكاد الانسان يتبين فرقاً واضحاً بين هذه الحركة النفسية والحركتين العلمية والاجتماعية في زمانها أو مكانها أو رجالها ، فأصل جميعها التربية الطبيعية ، وما هذه الحركات الثلاث إلا فروع متشعبة عن هذه الحركة العامة ، فلا تمتاز واحدة منها عن صاحبتها إلا باعتبارات خاصة يتنبه إليها الانسان ويقف عندها بفكره . وإلى القارئ بعضاً من خواص الحركة النفسية .

(١) العناية بإيضاح المبادئ الطبيعية في التربية . وتمحيصها واستخدامها في غرف التدريس . وأهم هذه المبادئ أن التربية لا ترمى إلى تحصيل اللغات وملء الحوافظ بما لا يفيد من المعارف ، وإنما ترمى إلى إغناء القوى التي أودعها الله في الطبيعة البشرية .

(٢) العناية بالطفل ودراسة غرائزه وميوله الطبيعية ونشأته العقلية .

(٣) الاهتمام بالتربية الابتدائية ، وقد مكث الناس قرونًا عدة وهم لا يُعنون بغير التربية الثانوية والعالية .

(٤) السعى في إصلاح شئون التربية بإصلاح طوائفها وتهذيب مناهجها واعداد المعلمين وإحداث روح عال في المدارس .

(٥) إكساب التربية معنى سامياً لم يكن مألوفاً من قبل ، وهو على ما قاله بستانلوتزى إغناء القوى الانسانية جميعها على وجه منتظم متناسق وفي آن واحد .

هذه هي أهم خواص الحركة النفسية في التربية ، ولهذه الحركة أتباع وأشباع كثيرون ، من أشهرهم بستانلوتزى . وهربارت . وفروبل . وسنترجم لكل واحد من هؤلاء الثلاثة ترجمة تشرح آراءه ومذاهبه في التربية على قدر ما هو مستطاع في مثل هذا الكتاب .

بستالوتزى

هو يوحنا هنري بستالوتزى أعظم أئمة التربية المصلحين الذين عرفهم التاريخ منذ عهد النهضة الفكرية فى أوربا ، وله من الأثر فى إصلاح التربية الابتدائية فى سويسرا خاصة وأوربا عامة ما لم يكن لأحد قبله أو بعده من زعماء التربية .

مولده ومنشؤه

ولد سنة ١٧٤٦ فى مدينة زوريخ إحدى المدن الجميلة فى سويسرا ، وكان والده طبيباً ماهراً يثق الناس بطبه وعلمه ، عاجلته المنية وهو فى الثالثة والثلاثين ولولده من العمر خمس سنوات ، وبذلك حرم هذا الوليد نصيحاً حازماً إلى جانبه يرشده ويبصره بأحوال الوجود . وأصبحت تربيته بيد أمه وكانت صالحة تقية طيبة القلب .

نشأ بستالوتزى فى حجر أمه مغتبطاً بصحبته لا يفارقها صباحاً ولا مساءً ، ولا يعبأ أن يكون له رفقاء من سنه . وكانت أمه رقيقة القلب كثيرة العطف عليه ، فأثر ذلك فى أخلاقه أثراً سيئاً ، وحال بينه وبين كثير من صفات الرجولة الكاملة ، فنشأ غمراً سهل الانخداع ضعيف الثقة بنفسه ، يحب الوحدة ويتهيب المجالس والأندية ، وقد بقيت هذه الأخلاق معه جميع حياته وسببت له كثيراً من الخذلان والفشل فى أعماله . نعم كان لنشأته مع أمه هذه الآثار السيئة ، لكنها أنتجت مع ذلك آثاراً حميدة ، فإن مثال الصلاح الذى رآه فى أمه ، وكذلك الحياة الهادئة الساكنة التى عاشها فى جوارها ، والابتعاد عن الرفقة والأصحاب ، كل ذلك جعله كثير التفكير ، كثير التخيل شديد العطف على الفقراء والبائسين .

بستالوتزى فى المدرسة

لم يكن بستالوتزى من التلاميذ الأذكياء النجباء فى مدرسته ، ولكنه مع ذلك لم يكن غيباً . كان إذا ألقى عليه الدرس فهم مادته فهماً إجمالياً وخفيت عليه دقائقه ، ولقد بقيت آثار ذلك فيه جميع حياته ، فقد سمعنا عنه أنه كان وهو يشتغل بصناعة التعليم لا يحسن الهجاء ولا يجيد القراءة ولا الإنشاء .

كان بستالوتزى فى مدرسته أضحوكة إخوانه لغلته وسلامة طويته وسرعة انخداعه وعدم لباقتيه ، إلا أنه كان سهل الانقياد حلو الطباع مولعاً بخدمة أصدقائه ، ولذلك كثر رفقاؤه ومحبيه . زلزلت الأرض يوماً فى زورنخ فذعر من فى المدرسة من المعلمين والتلاميذ ، وغادروا بناءها مسرعين ، ثم نظروا فلم يجدوا بينهم من يرضى أن يعود اليها لئلا لهم بقبعاتهم ومعاطفهم وكتبهم سوى هذا الفتى المطواع يوحنا بستالوتزى .

غرضه فى الحياة

لما أتم بستالوتزى دراسته فى المدرسة الابتدائية ، دخل جامعة زورنخ حيث استقل بشئون نفسه . ولقد انتظم وهو صغير السن فى سلك جماعة من الطلبة أخذوا على أنفسهم مقاومة الظلم ومحاربة العسف . ومما قاله عن نفسه وأصدقائه فى ذلك : « لقد عاهدنا أنفسنا ألا نعيش إلا للحرية وإنصاف العدالة وبذل الذات فى حب الوطن وخدمته » . ومما قاله عن أحوال الأمم والجماعات فى وقته : « لقد تبصرت فى حال الأمم فهالنى ما رأيت من المصائب والبلايا التى يتقلب فيها الناس جميعاً ، ولا سيما قومى وأهل بلادى ؛ مكر وخداع ورياء وجهل وبغى وعدوان . رأيت الانغماس فى النعيم قد التهم الفضائل التهاماً وأفسد الآداب إفساداً . رأيت أمتى قد تسفلت فى منازل الذل وانحطت الى مهاوى الفقر والتعس . هالنى ما رأيت وأشفت على أمتى وبلادى فوهبت نفسى مذ أيفعت لخدمة فقرائها . وبذلت الذات لإسعادهم وإصلاح شئونهم ، ولم أرثمة وسيلة لذلك سوى تخليصهم من الجهل وإعطائهم حقوقهم من التربية كاملة ، إلا أنى وجدت التربية المنزلية هى الأساس القوى الذى يصح أن يعتمد عليه فى إسعاد الشعوب ، فإن لها من الأثر فى قلوب الأطفال ما ليس لغيرها من أنواع التربية ، وناهيك بتربية سداها ولحمتها الإخلاص والثقة والحب الصحيح المتبادل بين الطفل وأبويه » . فمن أراد إسعاد أمته فعليه أن يعمل على إصلاح المنزل بإعداد الأمهات إعداداً يقدرهن على القيام بشئون التربية الأولى .

وهكذا كان لما طبع عليه من إنكار الذات ، وحب الإنسانية ، والرغبة فى تخفيف ويلاتها أثر كبير فى تحديد غرضه من الحياة .

دراسة وفهمه

لقد كان هذا الغرض الشريف هو الذى حبيب الى بستاوتزى المناصب الدينية ، فقد ظن أنه إن أصبح قسيساً استطاع بفضل منصبه أن يعظ الناس ويرشدهم الى طريق الخير ، وأمكنه فوق ذلك أن ينشر مبادئه ويعمل على إسعاد وطنه . لذلك أقبل على دراسة اللاهوت سنة كاملة إلا أن إخفاقه فى أول خطبة ألقاها أبان له أنه لم يصب فى اختياره المهنة التى تليق به ، فأنصرف عن الدين الى دراسة القانون مندفعاً بغرضه السامى من الحياة ، فقد رأى الفلاحين وفقراء القرى حوله فى تعس وذل يُخدعون ويُظلمون وليس لهم من ولى ولا نصير ، فأراد أن يكون وليهم ونصيرهم ، يدفع ما ينزل بهم من المظالم ، ويدافع عما لهم من المصالح والحقوق ، ولكنه لم يقدر له نجاح فى هذه المهنة أيضاً ؛ فقد نزلت به الأسقام وتناوبته الأمراض ، واضطرتته أن يترك الكتب والحياة المدرسية ، فتركها مرغماً ، واختار الفلاحة منقاداً اليها بغرضه السامى كما انتقاد فى المهنتين السابقتين . ذلك أنه أراد أن يعيش وسط الفقراء والفلاحين ليريهام أمثلة جديدة فى الزراعة ، وطرقاً نافعة فى الفلاحة تساعدهم على أن ينالوا من أعمالهم غلة أوفر وحاصلاً أكثر . وفى سنة ١٧٦٧ أفلح فى استمالة شركة غنية فى زورنخ ، فساعدته وأقرضته مالا كثيراً اشترى به ضيعة كبيرة أسماها « نيوهوف » (الضيعة الجديدة) ، وكانت تبلغ مائة فدان انجليزى تقريباً ، ثم أقبل على إصلاحها وزراعة ما يصلح للزراعة منها ، ومكث يعمل فيها بجده ونشاطه خمس سنوات تباعاً ، إلا أن حظه هنا لم يكن خيراً من حظه فيما سبق ، فقد ارتابت الشركة فى أمره ، فاستردت مالها منه ، وبذلك آل أمره فى مزرعته إلى الخيبة والخذلان . قال بستاوتزى : « إن السبب فى خيبة المشروع يرجع إلى وحدى ، فإنى لم أكن كفتاً لأى عمل يحتاج الى مقدرة عملية » .

فى أثناء احترافه بالزراعة تزوج بامرأته « أناشوتس » ، وكانت ذات مال كثير وعقل راجح ، فولدت له ولداً أسماه يعقوب ، فجعل يريه على مبادئ روسو ، وينشر على

الناس نتائج التربية التي يصل اليها ، علمهم يهتدون بهديها ويستنيرون بنورها ، وقد أوصلته تجاربه الى أن التربية الصحيحة لا تقتصر على قراءة الكتب وتحصيل المعارف ، وأن أولاد الفقراء يستطيعون بالتمرين العملي الصالح في الزراعة والصناعة أن يكسبوا قوتهم وينالوا نصيبهم كاملاً من تربية العقل وتهذيب الخلق .

مدرسته في نيوهوف

بعد الخيبة العظيمة التي لحقته من جراء استرداد الشركة أموالها ، عاد الى العمل في « نيوهوف » مستعيناً بأموال زوجته ، ولكنه الآن أراد أن يجمع بين أعمال الزراعة وأعمال التربية ، ففتح مدرسة صناعية لأولاد الفقراء سنة ١٧٧٤ فكانت كما قال تلميذه « كروزي » أول مدرسة أنشئت من نوعها . جمع لهذه المدرسة نحو عشرين تلميذاً من أولاد الفقراء وأبناء السبيل ، وجعل يعلمهم كما يعول الأب أبناءه ، يطعمهم ويسقيهم ويكسوهم ويسكنهم منزله ، وكان الذكور منهم يتعلمون الزراعة وأعمال الحدائق . أما الإناث فكاننَّ يمرنَّ على الأعمال المنزلية والخياطة وأشغال الإبر . وفي أوقات المطر كان الذكور والإناث يشتغلون جميعاً في غزل القطن ونساجته . وفي أثناء هذا التمرين العملي كان يستألفون يحادثهم ويوجه أنظارهم الى مجالى الطبيعة ، ويستحفظهم آيات من الإنجيل ، وبذلك تمت لهم معرفة شئ كثير من مبادئ العلوم قبل أن يتعلموا القراءة والكتابة ، ومن غير أن يجلسوا الى مدرس كما يجلس التلاميذ في مدارسنا الآن . ولم تمض على هؤلاء الأطفال السعداء شهور قليلة حتى تغيروا من حال الى حال ، قويت جسامهم ونمت مداركهم وحسنت طباعهم وأخلاقهم ومرت أيديهم على العمل . هكذا نجحت تجربته إلا أنه كان شديد الحرص على التوسع في عمله فزاد في عدد تلاميذه زيادة لم تحتملها موارده ، وسار على ذلك أياماً ، ثم نظر فوجد الدين قد ركب ، ووجد ثروة زوجته قد ذهبت كلها ولم يبق منها فلس واحد ، فلم ير بدّاً من إغلاق مدرسته ، فأغلقها في سنة ١٧٨٠ ، وقد كانت تلك خيبة أخرى تضاف الى أمثالها فيما سبق .

مؤلفاته

قضى بستالوتزى بعد ذلك ثمانية عشر عامًا في فاقة شديدة ، ولكنه قضاهما في أحسن الأعمال وأنبلها . ذلك أن صديقًا نصح له أن يدون مبادئه وآراءه في التربية ، فعمل



« بستالوتزى »

بالنصيحة وأخذ يؤلف الكتب وينشر آراءه في الصحف ، فظاهر له في سنة ١٧٨٠ كتاب دعاه « ساعات الناسك الليلية » وقد ضمنه كثيرًا من آرائه ومذاهبه ، إلا أنه كان جاف الأسلوب خاليًا من طلاوة التعبير ، فطلب إليه أصدقاؤه ومحبهوه أن يختار لنشر مبادئه أسلوبًا آخر جذابًا يستميل القارئ ، فلم تمض سنة كاملة حتى ظهر كتابه القصصى العظيم الذى دعاه « ليونارد وجيرترود » ، فأثار

حركة فكرية عظيمة في التربية ، وكان من أكبر العوامل في عظمة مؤلفه ونشر صيته في طول البلاد وعرضها . وقد قدّرت حكومات البلاد الراقية هذا الكتاب حق قدره وتنافست في اقتنائه والانتفاع به ، حتى لقد أهدت حكومة « برن » مؤلفه وسامًا ذهبيًا ، إلا أنه باعه لفاقة شديدة كان فيها وقتئذ .

في هذا الكتاب شرح « بستالوتزى » المصائب والويلات التى يثقل فيها الفقراء من أهل القرى ، ووصف أحوالهم الاجتماعية المفجعة وما هم فيه من جهل وفساد آداب ، ويّئن كيف استطاعت « جيرترود » - وهى امرأة غمر طيبة من نساء الفلاحين -

أن تصلح حال زوجها المدمن وتقوم من أخلاقه ، وكيف قامت بتربية أولادها وأولاد جيرانها وجميع من في بيتها من الفتيات والفتيان . كذلك أوضح كيف استطاعت هذه المرأة الصالحة أن تجعل جميع من حولها يحشون تأثيرها ونفوذها ويحذون حذوها في الإصلاح الذي قامت به ، وكيف كانت في كل أعمالها تستعين بعلم القرية وحكامها اللذين انصاعا لها وامتلا ثقة بنفع أعمالها .

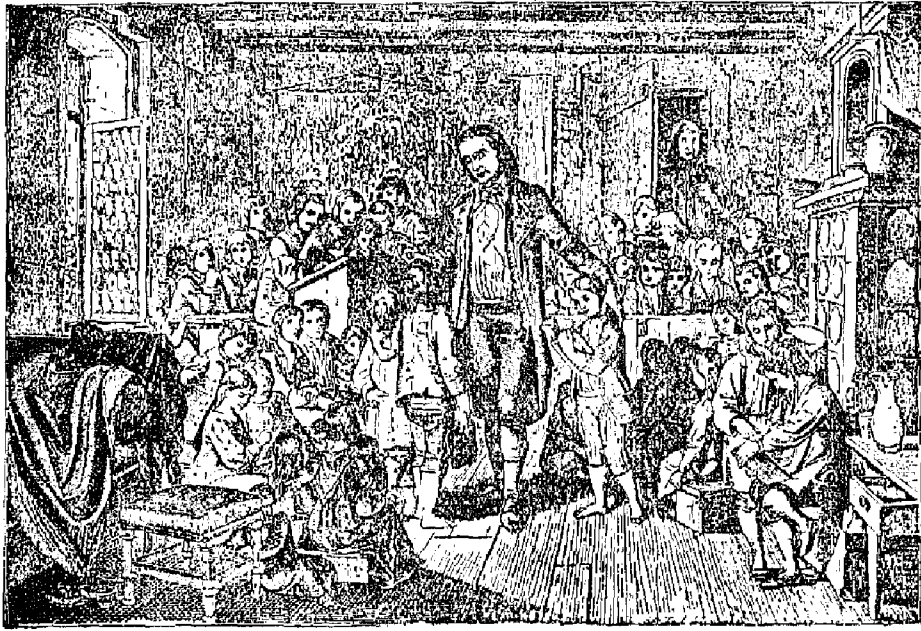
كتب بستانوتزى كتباً أخرى كثيرة في هذه الفترة ، ولكن لم يصل واحد منها الشأو الذي بلغه كتاب « ليونارد وجرتروود » على أنا لا نريد الإكثار من ذكر مؤلفاته وأعماله الكتابية لأننا نتكلم في تاريخ الرجل من الوجهة العملية ليس غير .

مدرسته في استانز

في سنة ١٧٩٨ وصلت آثار الثورة الفرنسية الى سويسرا ، فدخلها الفرنسيون بنجاليهم ورجلهم ، وقصدت جيوشهم الى الأقاليم الكاثوليكية ، فحرقوا المنازل ونهبوا الأموال وقتلوا الأهلين رجالاً ونساء . ولما كان بستانوتزى من المعجبين بآراء روسو في السياسة والتربية معاً ، لم يكن عجباً أن صار نصيراً للثورة الفرنسية ومن أعوان رجالها في سويسرا . لهذا رأى رجال الحكومة في هذه البلاد ان يتقوا شره ويستميلوه اليهم بعرض بعض المناصب الحكومية عليه ، فسألوه أى منصب يختار فأجاب من فوره : « احب ان اكون معلماً » فأرسلوه الى « استانز » وهي قرية على بحيرة لوسرن خربت بها الجنود الفرنسية وقتلوا أهلها ، وأحرقوا ما حولها من القرى والبلاد ، وخلفوا أطفالها أيتاماً لا عائل لهم . أرسلوه الى هذه القرية ليؤسس فيها مدرسته ويعول من يمتهم الحرب هناك ، فأحس « بستانوتزى » لأول مرة أنه صادف العمل الذي طالما صبا اليه ورغب فيه ، والذي كأنما لم يخلق لشيء سواه .

ابتدأ بستانوتزى أعماله في « استانز » وله من العمر ثلاث وخمسون سنة ، وأسس مدرسته في دير هناك أعطته الحكومة إياه ، وقبل أن يتم إعداد المدرسة نسل اليه التلاميذ من كل حدب حتى امتلأ الدير بهم على سعته ، وقد أقبل على العمل بغيرة وحمية تاريخ التربية (٤٠)

لم يعبدا في معلم قبله ، ومما قاله في ذلك : « كنت الألام الأطفال من الصبأ إلى المساء ، ولم أَدعُ فرصة يستعان بها على إثناء جسمهم وعقولهم إلا انتهرتها ، وما اعتمدت قط في تعليمهم وتهذيب أرواحهم على أحد غيرى . كانت يدي إلى أيديهم في كل عمل ، وبَسَمَاتِي تصحب بساتهم في كل حين . كنا نقسم الطعام والشراب ونمشي جميعاً في الحقول والمزارع نستنشق طلق الهواء . لم يكن حولي هناك أسرة ولا أصدقاء ولا خدام ، فكأنوا أسرتي وأصدقائي وليس لي أحد سواهم . كنت أحس الصحة والعافية ما داموا في صحة وعافية ، وكنت أعلمهم وأسليهم وأقف بجانبهم إن نزل بهم مرض أو أصابهم داء . إذا ناموا نمت وسطهم وكنت آخر من ينام وأول من يستيقظ . »



بستالوتزى فى مدرسته باستانز

فى هذه المدرسة رأى بستالوتزى الفرصة سانحة لإخراج آرائه فى التربية الصناعية إلى دائرة العمل ، وقد وجد أن استخدام الكتب والأدوات المدرسية هنا لا يجدى فتيلاً فى الحصول على الغاية التى يريد بها من التربية . ولذلك رأى أن يعتمد فى تعليم تلاميذه على الملاحظة والتجارب العملية ، لا على إلقاء الدروس العلمية المعهودة لنا فى مدارسنا الآن . وفى تعليم الدين والأخلاق مثلاً لم يتبع طرق النصيح والإرشاد ،

وإنما كان يرقب الحوادث حين صدورها من التلاميذ فيشرحها لهم ، ويستعين بها على إيفهامهم قيم الاعتماد على النفس ، والعطف على الفقراء ، وشكر الجميل مثلاً .

أقام بستالوتزى فى هذه المدرسة خمسة شهور وهو محاط بصعوبات كثيرة . فقد كان الناس ينظرون اليه شزراً ويعدونّه عيناً من عيون الفرنسيين الثائرين ، ولم يكن له فى مدرسته مساعد ولا معين ولا خادم يعاونّه فى ترتيب أثاثها وتنظيم غرفها ، ولكنه على الرغم من ذلك قد أتى فى هذه الفترة القصيرة بما يعدّ عجباً فى بابّه ، فقد أثر فى جسوم التلاميذ وعقولهم وأخلاقهم آثاراً بيّنة انتقلوا بها من حال إلى حال . قال بعضهم : « إذا صح القول بالمعجزة فما أجدر العمل الذى أتاه فى هذه الفترة القصيرة بأن يعدّ معجزة المعجزات » .

لم يكف بستالوتزى بفرح بنتائج أعماله حتى رجع الفرنسيون الى استانز واستولت جيوشهم على الدير ، فاتخذوه مسكناً للمرضى ومستشفى للجرحى ، فنفرق الأطفال أيدي سباً ، ولم يجد بستالوتزى مناصاً من ترك أعماله ومغادرة تلاميذه ، فغادرهم فى حزن وبكاء . وهكذا قدر له أن يخيب فى عمله هذا كما خاب فى أعماله السابقة .

بستالوتزى فى « برجدورف »

غادر بستالوتزى « استانز » قاصداً الى إراحة جسمه وعقله من الجهد الذى صرفه فى خمسة الشهور الماضية ، إلا أن رغبته فى مزاولة العمل الذى يحبه ، لم تدعه يُخلد الى الراحة طويلاً . ولذلك لم يلبث أن ذهب الى « برجدورف » فاختير هناك معلماً فى إحدى مدارسها ، وكان قد اهتدى أثناء تجاربه فى استانز الى ابتداء طرق فى التدريس تشوق التلاميذ وتأسر انتباههم ، وكانت جميعها تدور حول الاعتماد على حواس الأطفال واستمالتهم الى اجتلاء ما حولهم من مظاهر الطبيعة ، فاستخدم هذه الطرق فى مدرسته الجديدة وأوضح طريق الأخذ بها . وبذلك وضع الأساس الأول لما يسمى فى مدارسنا الآن بدروس الأشياء .

كان فى تعليم اللغة يوجه أنظار تلاميذه الى ما حولهم من الأشياء ويشاركهم فى

الفحص عن أشكالها وألوانها ومواضعها ، ويدعوهم الى التعبير عنها بمجمل متدرجة في الطول والأساليب ، وكان ينطق بالجملة أولاً والتلاميذ يحاكونه فيها بعد ذلك . وفي تعليم الحساب كان يستخدم حبات الخرز والبندق وقطع الحجارة ، ويستعين بكل ذلك على إفهامهم معانى الأعداد . وفي تعليم الهندسة كان يأخذ التلاميذ برسم الخطوط المستقيمة والمنحنية والزوايا المختلفة . وفي تعليم التاريخ وتقويم البلدان والتاريخ الطبعى كان عماده الملاحظة واستعمال الحواس في مظاهر الكون وآثار الانسان .

لم يمكث بستالوتزى في المدرسة طويلاً حتى عشقه التلاميذ عشقاً ، وأصبح نفوذه بينهم كبيراً ، وأثره في أخلاقهم وعقولهم عظيماً ، فحسده ناظر المدرسة على مكانته التي حازها ، ودعته الغيرة الى تدبير الحيلة في الخلاص منه ، فافتصله عن المدرسة واعتذر عن عمله هذا بأنه على حسن أساوبه في التعليم لا يحسن القراءة ولا يجيد هجاء الكلمات ، وهى تهمة قاسية لولا أن لها نصيباً من الحق ؛ وقد بينا ذلك فيما سبق لنا من القول .

لم تكن طريقة بستالوتزى في التعليم تابعة لخطئة مرسومة ، ولم يكن له جدول دروس يسير عليه ، قال بعض تلاميذه : « كان بستالوتزى لفرط غرامه بالتعليم لا يقيد نفسه بوقت خاص ؛ كان يتدئ درسه معنا فى الساعة الثامنة صباحاً ، ويستمر فيه الى الساعة الحادية عشرة ، وكان صوته غالباً يبع عند الساعة العاشرة ، وتظهر عليه حينئذٍ علائم التعب والجهد ، ولكنه على الرغم من ذلك لا ينقطع لحظة ما عن العمل ؛ وكنا نعرف الساعة الحادية عشرة بأصوات تلاميذ المدارس الأخرى حين ينصرفون من مدارسهم ويمرون بالشوارع المجاورة ؛ عندئذ كُنَّا نثب من أما كننا مسرعين ونغادر المدرسة من غير توديع أو استئذان » . نظام سبيء يعوق نجاح التربية ولا يرضى به أحد ، إلا أن إخلاص الرجل فى عمله ، ورغبته القوية فى تخليص بنى جنسه من شرور الجهل ، أسدلاً ستاراً على مثالب طريقته وهياً له أسباب النجاح .

كانت نتائجها فى مدرسة « برجدورف » باهرة تستحق الإعجاب ، قدَّرها أعضاء اللجنة العلمية فى المدرسة حق قدرها ، واعترفوا له بالفضل فى إنفاذ التلاميذ والوصول

بهم الى غاية عالية من رقى المدارك وسمو الأخلاق . واليك بعض ما جاء في تقريرهم عنه : « لقد أَرانا بستانلوتزى القُوَى العظيمةَ الكامنة في طبيعة الطفل ، وأَرانا الطرق التي يجب أن تُسلكَ لاستثارة هذه القوى وإثرائها . إن النجاح الباهر الذى أحرزه مع تلاميذه على صغر أسنانهم واختلاف مداركهم ، ليدل دلالة واضحة على أن كل طفل له عمل في الحياة يضطلع به ويُعنى فيه لو استطاع المعلم أن يوقظ مداركه ، ويستثير مواهبه على مقتضى القوانين الثابتة في علم النفس » .

بعد أن اعتزل منصبه اشترك هو وتلميذه « هِرمان كُروزى » وأسس مدرسة خاصة في هذه المدينة أيضاً ، وعلى الرغم من الضعف الذى أظهره في إدارة المدرسة حالفه النجاح من البداية ، فأقبل التلاميذ على المدرسة أفواجا وجاء اليه المعلمون ليأخذوا عنه ويعاونوه في إخراج آرائه وأفكاره الى حيز العمل .

وفوق ذلك أكثر ذوو الوجاهة والنفوذ من زيارة المدرسة وتعرّف أعمالها ، فرأوا ما سرهم وأطلق ألسنتهم بالثناء . ولم تمض على ذلك سنوات قليلة حتى انتشرت آراء بستانلوتزى في التربية أيما انتشار ، وأخذت مكانها العملى في غرفات التدريس .

في سنة ١٨٠١ أثناء إقامته في « برجدورف » ألف كتابه الذى دعاه « كيف تعلم جرثُود أطفالها » وبين فيه طريقته في التعليم ، والكتاب طويل ينقصه شئ من الترتيب والإتقان وقلة التكرار .

مدرسة فردورف

لأسباب سياسية اضطر بستانلوتزى في سنة ١٨٠٢ أن ينقل مدرسته من « برجدورف » إلى « فردون » على شواطئ بحيرة نيوشاتل ، وهنا ظهرت عظمتة ونجحت أعماله وانتشر صيته بسرعة مذهشة ، وأخذ المربون والفلاسفة والأمرء وذوو النفوذ في البلاد يدرسون مبادئه وآراءه ، ويزورون مدرسته ليروا نجاح طريقته في غرفات التدريس . وقد وفد عليه المعلمون من جميع القارة الأوربية ليأخذوا عنه . أما التلاميذ والطلبة فقد أقبلوا عليه من قريب وبعيد ، حتى حوى المعهد منهم ما يُربى على مائة وخمسين من أصقاع

مختلفة ، من سويسرا . وألمانيا . وفرنسا . وإيطاليا . وأسبانيا . وروسيا . ومن أمريكا .
اتسع المعهد اتساعاً عظيماً بمرور الأيام وأصبح فيه قسم للبنات وقسم آخر للصم
والبكم ، وصار بحيث يحتاج إلى حزم وعزم في إدارته ، وبستالوتزى كما علمت ضعيف
الإدارة قليل الكفاية فيها ، فكان هذا إلى التنافس والتحاسد اللذين دبا في قلوب
المعلمين نذير الفشل والخذلان ، فأغلقت أبواب المعهد بعد أن مكثت عشرين سنة والنور
ينبعث منه إلى جميع أرجاء المعمور .

ذهب بستالوتزى بعد ذلك كاسف البال إلى موطن شبابه «نيوهوف» ليختتم فيها
حياته ، فمكث بها ثلاث سنوات ثم مات سنة ١٨٢٧ وله من العمر إحدى وثمانون سنة .

الغرض من التربية وطرقه في تربية المعلم

يذهب بستالوتزى الى أن الغرض من التربية إنما هو إيقاظ القوى الكامنة في الطفل
وإنماؤها حتى تصل إلى درجة كمالها . ويرى أن الطريق القويم لبلوغ هذه الغاية أن
يؤخذ الطفل من المبدأ بتمرين حواسه وملاحظة ما يحيط به من مظاهر الكون وآثار
الوجود . أما ما كان معروفاً في زمنه من أخذ الأطفال في المدارس بجمل يحفظونها ،
ودروس يستظفرونها من غير عناية بفهم معانيها ، فقد انكره كل الإنكار ، وقال : «إن المعاني
الواضحة لاتصل الى عقول التلاميذ إلا عن طريق الحواس » . وسنشرح لك فيما يأتي
طرقه التي كان يسير عليها هو وأتباعه في دراسة الحساب وتقويم البلدان والتاريخ
الطبعي والموسيقى ونترك ما عدا ذلك من بقية المواد الدراسية مخافة التطويل .

(١) طريقته في تعليم الحساب : هنا أوجب بستالوتزى أن تستخدم المحسات قبل
أن تُعرض معاني الأعداد على التلاميذ ، وقد عرفنا فيما مضى كيف كان في مدارسهم
يستعين على إفهام الأطفال قواعد الحساب باستعمال حبات الخرز والبندق والحجارة
الصغيرة وأعضاء البدن .

كان بستالوتزى يبتدىء بالأشياء الحقيقية مع الأطفال على ما رأيت ، حتى إذا
ما سار في ذلك شوطاً انتقل بهم الى جدول الوحدات الذي وضعه لجعل تعليم

فكتب يقول: « لقد أدهشني من هؤلاء التلاميذ ان رأيتهم يعالجون الكسور المعقدة ويحلون أصعب التمرينات فيها بسهولة غريبة ، حتى كأنها لديهم عمل من الأعمال التي لا يحتاج إلى تفكير . أقيمتُ عليهم بعض مسائل لا أستطيع حلها بنفسى حتى أوجه اليها كل عناية وفكر ، وحتى استنفد صحائف كاملة فيما تحتاج اليه من العمل الكتابي ، ولكنهم - يا للعجب - عمدوا لها بعقولهم فحلوها بهدوء من غير أن يستعينوا فيها بقلم ، ثم أعطوني نتائج أعمالها صحيحة في لحظات قليلة » . ليس بعد هذا القول مجال للشك في فضل الطرق البستالوتزية ومبلغ نجاحها في تعليم الحساب ، وما أجدرها بذلك ! فقد وضعت لتمرن في التلاميذ قواهم العقلية وتسمو بمداركهم تدريجاً الى الغاية التي تستطيع .

طريقته في تعليم تقويم البلدان : كان بستالوتزى يبتدئ دروس تقويم البلدان بحمل تلاميذه على ملاحظة البيئة التي يعيشون فيها ملاحظة صادقة ، ثم يطلب إليهم بعد ذلك أن يعملوا نماذج من الطين تمثلها تمثيلاً صحيحاً ، وأن يتبعوا ذلك برسم المصورات المنقنة . قال الاستاذ « فليمين » المؤرخ الفرنسى الشهير يصف طريقة بستالوتزى في تعليم تقويم البلدان ، وكان قد مضى سنتين من سنى حياته في معهد فُردون يتلقى فيه العلم على هذا المربي القدير ، قال : « كانت الأصول الأولى في علم تقويم البلدان تدرس لنا دراسة عملية ، فكان بستالوتزى يلجأ إلى الطبيعة ذاتها في شرح كل أصل من أصول هذا العلم ، وقد ابتدأنا الدراسة بزيارات مثالية لواد ضيق على حدود فُردون ، وكنا ندعى إلى ملاحظة ما في هذا الوادى من اكبات وهضاب وبحيرات وجداول مياه ومستنقعات وغابات إلى غير ذلك من مظاهر الطبيعة هناك ، حتى اذا عرفنا ما هنالك معرفة تامة ، عدنا إلى المدرسة وقد أخذ كل منا في سلته قطعة كبيرة من طين ذلك الوادى ، ثم جلسنا على رخوان كبير لنصنع من ذلك الطين نماذج منقنة للمكان الذى زرناه ، وكنا بعد ذلك نتردد الى الوادى ونُعمن فيه ، ثم نعود الى المدرسة فنزيد في النموذج بقدر ما أمعنا في سيرنا ، ونصلح ما قد وقع لنا من الخطأ في تكوين النموذج أولاً . وبذلك كانت تزداد خبرتنا بطبيعة الأرض التي حولنا شيئاً فشيئاً » .

كان بستالوتزى لا يقصر فى ربط علم تقويم البلدان بغيره من العلوم المدرسية أثناء التدريس ، فكان يربطه بالتاريخ الطبي والزراعة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون التى لها صلة كبيرة به .

(٣) تعليم التاريخ الطبي : كان التعليم هنا مؤسساً على تمرينات متدرجة فى الملاحظة والتعبير ، فكان المعلم يعرض الشئ على تلاميذه ، ويطلب اليهم أن يختبروه بحواسهم ، ويلاحظوا خواصه المختلفة ، ويسألهم أن يضعوا نتائج الاختبار والملاحظة فى جمل تختلف طولاً وقصراً على حسب أسنانهم ومداركهم .

أما موضوعات هذه الدروس ، فهى الاشياء التى كان يجمعها التلاميذ بأنفسهم فى رحلاتهم وزياراتهم الحقول والغابات المجاورة ، وكثيراً ما كان يضاف اليها بعض الحجارة والمعادن وبعض أنواع من النبات الجاف والحيوان المحنط ، وهذه يعدها المعلم بنفسه .

(٤) تعليم الغناء : كان هذا الفن من الفنون الرئيسة فى مدارس بستالوتزى ، وكانت العناية به شديدة ، وقد كان التلاميذ فى دروسهم الابتدائية يتعلمون الغناء بالطريقة التى كانت تتبع فى تعليم الكلام ، أعنى بالمحاكاة والتقليد . ولألمانيا أغان جميلة سهلة كان بستالوتزى يعلمها صغار تلاميذه فيغنونها بانشرح وسرور عظيمين ، وكان بذلك يربى فيهم حاسة السمع ويربى فيهم الذوق الموسيقى ، فاذا تم لهم ذلك انتقل بهم الى الدروس العلمية النظرية فى الغناء . وقد كان من عادته أن يختم كل درس بأغان جميلة ، يعدها ترويحاً لنفوس التلاميذ بعد إجهادها فى الدروس النظرية . بقيت علوم أخرى كثيرة كالهندسة والرسم والخط والتمرينات الرياضية ضربنا صفحاً عن بيان طرائقه فى تعليمها مخافة الإطالة .

مبادئ وآرائه فى طرق التعليم

قد أتينا فيما تقدم لنا على كثير من مبادئ بستالوتزى وآرائه فى طرق التعليم وقد لخصها « مورف » أحد تلاميذه فيما يأتى : -

- (١) الملاحظة أساس التربية والتعليم .
- (٢) يجب أن ترتبط دراسة اللغة بالملاحظة واستعمال الحواس .
- (٣) وقت التعليم غير وقت الحكم والنقد ، فلا مناقشة ولا نقد من التلميذ أثناء الدرس .
- (٤) في كل موضوع من موضوعات الدراسة يجب أن يبدأ بأسهل أصوله ، ثم ينتقل منه الى ما يليه بسهولة ، على شريطة أن يكون الانتقال تابعاً لنمو المدارك وارثقاً القوى العقلية .
- (٥) يجب ألا ينتقل من إحدى مسائل الدرس إلى ما يليها ، حتى يتثبت التلاميذ من الأولى ويجيدوا فهمها كل الاجادة .
- (٦) يجب أن يعامل المعلم تلاميذه بأدب واحترام .
- (٧) ليس الغرض من التربية الابتدائية ملء رؤوس الأطفال بمسائل العلوم والفنون ، وإنما الغرض منها إغناء القوى العقلية وإيقاظ المواهب الكامنة .
- (٨) يجب أن ينتج العلم قوة ، وأن ينتج التعلم مهارة .
- (٩) يجب أن تكون المحبة أساساً للرابطة بين المعلم والمتعلم ، ومحوراً يدور حوله النظام المدرسى .
- (١٠) يجب ألا يكون التعليم غرضاً أصلياً ، فانما هو وسيلة للغاية السامية من التربية .
- (١١) علاقة الأم بولدها هي أساس التربية الأدبية .

انتشار المدارس والطرق البستالوتزية بأوروبا

لم يأل أتباع بستالوتزي وتلاميذه جهداً في نشر مبادئه وطرقه المؤسسة على الملاحظة واستعمال الحواس ، ولم تلبث الممالك الأوربية أن تسابقت في تأسيس مدارسها على الطرق والأساليب البستالوتزية .

- (١) في سويسرا : عجيب أن كانت سويسرا أبطاً الممالك في الأخذ بآراء بطلها المقدام ، مع أنه ابنها وفيها أُسست مدارسها وعملت تجاربه في التعليم ، الا أن ذلك قد يرجع الى أسباب أهمها ما يأتي : -

(١) إن انعزال هذه المملكة عن غيرها من الممالك ، حجب الى أهلها المحافظة على عاداتهم وطرائقهم القديمة ، وبغض اليهم متابعة الناس في الاندفاع وراء كل جديد .
(ب) إن نشأة بستاوتزى في سويسرا هيأت لأهلها الفرصة الكبيرة للوقوف على مثالبه ومواطن الضعف فيه ، فحط ذلك من قيمة الرجل عندهم ، وقلل من نفوذه بينهم . وعلى الرغم من ذلك لم يدخر أنصاره وسعاً في ترويج مذهبه ونشره في المملكة السويسرية ، فقد جاهد « كُروزي » وغيره جهاد الأبطال ، وأسسوا المدارس الكثيرة على مبادئ أستاذهم وطرائقه .

(٢) في ألمانيا : كان الإصلاح البستاوتزى في هذه المملكة أوسع وأسرع منه في كل مملكة أخرى ، فقد أخذ يجد سبيله في الأقاليم الألمانية منذ بدء القرن التاسع عشر ، ففي سنة ١٨٠١ حين أخذ بستاوتزى يستجدي ذوى المروءة والثروة ، ويطلب اليهم أن يمدوه بالمال ليستعين به على إتمام تجاربه ، كان الألمانىون أسرع الناس الى مساعدته .

وفي سنة ١٨٠٢ حين نشر « هر بارت » مقالة عن الطرق البستاوتزية ، تنافس المربون هناك في دراستها ، وأصبحت حديث كل من يهتم بشئون التربية والتعليم . ولقد كان من آثار هذا المقال أن أرسلت ألمانيا رسولاً من عندها الى برجدورف ليدرس الطرائق الحديثة في التعليم ، ويقفها على نتائج دراسته ورأيه فيها . وفي أثناء ذلك كان دعاة المذهب البستاوتزى ينتشرون في المملكة انتشاراً سريعاً ، ويستميلون الناس الى مذهبهم الجديد . ففي سنة ١٨٠٥ أسس « بلامان » مدرسة في برلين ، ونشر جملة كتب بين فيها كيف تستخدم المبادئ الحديثة في تعليم اللغة وتقويم البلدان والتاريخ الطبيعى . وفي هذه المدينة أيضاً أنشأ « زلر » ملجأً للأيتام ، وحذا « تُوْرخ » حذوه فأنشأ ملجأً آخر للأيتام في مدينة بوتسدام .

وفي سنة ١٨٠٨ عيّن اثنان من تلاميذ بستاوتزى مديريّن للتعليم في بروسيا ، فأرسلوا سبعة عشر طالباً من خيرة الطلاب الى مدرسة فردون ليدرسوا هناك ثلاث سنوات ، ولما عادوا قاموا جميعاً بنشر المذاهب البستاوتزية وترويجها في البلاد . ولم

يُضِىءُ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى عَمَتِ الْحَرَكَةُ الْجَدِيدَةُ كُلَّ الْأَرْجَاءِ الْأَلْمَانِيَّةِ ، وَأَخَذَ الْمَعْلَمُونَ وَرِجَالُ الْحُكْمِ وَالْإِدَارَةِ وَالْأَمْراءِ وَالْأَعْيَانِ يَدْفَعُونَهَا إِلَى الْأَمَامِ ، وَيَشْجَعُونَهَا بِكُلِّ مَا فِيهِمْ مِنْ قُوَّةٍ وَجَهْدٍ ؛ وَكَانَ لِذَلِكَ آثَارٌ صَالِحَةٌ فِي أَحْوَالِ التَّعْلِيمِ . فَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَرُقُ التَّدْرِيسِ عَقِيمَةً ، وَالْمَعْلَمُونَ غَيْرَ أَكْفَاءَ ، وَأَبْنِيَّةُ الْمَدَارِسِ تَوَرَّثَ الْأَطْفَالُ أَمْرَاضًا وَأَسْقَامًا ، أَصْبَحَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مَدْرَسَةٌ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى الْأَنْظُمَةِ الصَّحِيحَةِ ، يَدِيرُ شُؤْنَهَا مُعَلِّمٌ قَادِرٌ لَهُ خُبْرَةٌ وَاسِعَةٌ بِشُؤْنِ التَّرْبِيَةِ الْحَدِيثَةِ .

(٣) فِي فَرَنْسَا : كَانَ اتِّشَارُ الْمَذْهَبِ الْبَسْتَالُوتَزِيِّ ضَعِيفًا هُنَا ، فَإِنَّ الرُّوحَ الْعَسْكَرِيَّةَ السَّائِدَةَ فِي فَرَنْسَا وَقَتئذٍ حَالَتْ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ دُونَ اتِّشَارِهِ . أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ قَلَّةَ عَنَاقِيَةِ الْفَرَنْسِيِّينَ بِأُمُورِ التَّرْبِيَةِ فِي هَاتِيكَ الْأَيَّامِ ، وَدُخُولَ الْمَدَارِسِ تَحْتَ سَيِّطَرَةِ الْكَنِيسَةِ بَعْدَ ذَلِكَ . وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذَا كَانَتْ عَلَائِمُ الْعَنَاقَةِ بِالْمَذْهَبِ الْجَدِيدِ تَبْدُو شَيْئًا فَشِئًا ، فَقَدْ ذَهَبَ الْقَائِدُ « جُولِين » إِلَى قُرْدُونٍ لِيَدْرُسَ طَرَائِقَ التَّرْبِيَةِ فِيهَا ، فَأَتْنِي عَلَيْهَا الثَّنَاءَ الْجَمِيلَ حَتَّى اسْتَمَالَ ثَنَاؤُهُ ثَلَاثِينَ تَلْمِيزًا مِنَ الْفَرَنْسِيِّينَ ذَهَبُوا إِلَى مَدْرَسَةِ بَسْتَالُوتَزِي لِيَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ هُنَاكَ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِكُلِّ ذَلِكَ إِلَّا أَثَرٌ قَلِيلٌ فِي إِنْهَاضِ الْحَرَكَةِ الْبَسْتَالُوتَزِيَّةِ فِي فَرَنْسَا . وَبَقِيَ الْحَالُ كَذَلِكَ حَتَّى سَنَةِ ١٨٣٠ .

بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ أَخَذَ النَّاسُ يُعْنُونَ كُلَّ الْعَنَاقَةِ بِالتَّرْبِيَةِ الْحَدِيثَةِ ، وَالْفَضْلُ فِي ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الْجِهَادِ الَّذِي جَاهَدَهُ « فَيْكْتُورُ كُوزِن » الَّذِي صَارَ فِيهَا بَعْدَ وَزِيرًا لِلْمَعَارِفِ فِي فَرَنْسَا ، فَإِنَّهُ فِي سَنَةِ ١٨٣٥ نَشَرَ مَقَالًا يَصِفُ فِيهِ أَحْوَالَ التَّعْلِيمِ فِي بَرُوسِيَا ، وَقَدْ بَيَّنَّ فِيهِ مَا لِلْمَذْهَبِ الْبَسْتَالُوتَزِيِّ مِنَ الْأَثَرِ الطَّيِّبِ فِي إِنْجَاحِ الْمَدَارِسِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ .

(٤) فِي انْجِلْتَرَا : كَانَ نَفُوذُ « بَسْتَالُوتَزِي » وَاسِعًا هُنَا ، فَقَدْ أُسِّسَ أَنْصَارُهُ الْمَدَارِسَ وَوَضَعُوا الْكُتُبَ عَلَى مَبَادِئِهِ ، وَإِلَيْكَ « مِيُو » فَإِنَّهُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ قُرْدُونٍ أَنْشَأَ مَدْرَسَتَهُ ، وَأَخَذَ يَبْنِي تَعْلِيمَهُ عَلَى الْمُلَاحَظَةِ وَاسْتِعْمَالِ الْحَوَاسِ ، وَقَدْ قَامَتْ أُخْتُهُ « الْيَصَابِتُ مِيُو » إِلَى جَانِبِهِ تَسَاعَدُهُ ، فَأَلَفَتْ كِتَابًا سَمَّيْتُهُ دُرُوسَ الْأَشْيَاءِ ، وَقَدْ كَانَ

هذا الكتاب الى غيره من الكتب التي تماثله أكبر مساعد على إدخال تدريس الأشياء في مدارس إنجلترا . وفي سنة ١٨٣٦ تكونت جماعة اشترك فيها ميؤو وغيره ، وبدلوا وسعهم في تأسيس المدارس ونشر التعليم على الطرائق البستالوتزية .

(٢) هِرْبَارْت^(١)

هو يوحنا فِرْدِرِيك هِرْبَارْت الألماني صاحب المباحث الجديدة في علم النفس والاراء السديدة في فن التربية . ولد في مدينة أُلْدِنْبُرْغ سنة ١٧٧٦ ، وأصبح بفضل الوراثة والتربية من أصحاب العقول الراجحة والمواهب النادرة . كان جده من رجال العلم والأدب المعروفين ، فقد ظل يدير مدرسة الآداب في أُلْدِنْبُرْغ أربعة وثلاثين سنة . وكان والده مستشاراً حكومياً إلا أنه لم يشتغل بتربية ولده ، ولم يكن له من أثر ظاهر في تقويمه وتهذيبه . أما أمه فإليها يرجع الفضل في تثقيفه وتربيته . فقد كانت شديدة الشغف بتأديبه ومراقبة دراسته ، حتى لقد بلغ بها الحرص على إفادته أن درست اللغة اليونانية دراسة متقنة لا لغرض سوى أن تعين ولدها على تحصيل هذه اللغة . وهي على ما كانت عليه من لين ولطف وأدب ، كانت حازمة قوية الإرادة

(١) ان مبادئ بستالوتزي على الرغم مما بها من غموض يسير ، وعلى الرغم من تفرقها واشتقاقها واستنادها غالباً الى الحدس والتخمين ، كانت الأساس الذي بنى عليه هِرْبَارْت وفروبل ، فقد أخذوا عنه واهتدوا بهديه ، إلا أنهما سارا على طريقتين مختلفتين في تأويل آرائه ومبادئه . ذلك أن للمبادئ البستالوتزية وجهتين نظمان لاول وهلة متناقضتين ، وليستا بمتناقضتين ؛ فبينما يذهب بستالوتزي إلى أن التربية طريقة طبيعية تعمل على انماء القوى الكامنة في الانسان ، تراه من جهة أخرى يقول « ان أعمال التربية تنحصر في توليد الافكار والمعاني الذهنية من الصور الخارجية التي تصل الى النفس عن طريق الحواس » . فالوجهة الاولى تتضمن أن الطفل يولد مزوداً بجميع القوى والمواهب العقلية على نحو النظام الذي يوجد في الرجال غير أن هناك اختلافا في القوة والكماء ، والظاهر أن بستالوتزي قد أخذ هذا المذهب عن روسو في تربيته الطبيعية . أما الوجهة الثانية وهي المبينة على أن المشاهدة والمعاينة أساس كل علم يصل الى الانسان ، فقد يستنبط منها أن عقل الطفل لا يتكون الا بتجارب واضحة محكمة يسوقها اليه معلمه . هاتان هما وجهتا التربية البستالوتزية . رأى فروبل أولاً فبنى عليها مذهبه وأعرض عن الثانية ، ورأى هِرْبَارْت ثانيتهما فشاد عليها بناءً محكما ونأى بجانبه عن الاولى . ومن هنا ترى أحد المصلحين يرجع أمر التربية الى الطفل وطبائمه ويوجب العناية بدروس غرائزه ومواهبه التي خلقت معه ، في حين ترى الآخر يهمل طبيعة الطفل اهما لا ولا يعني الا بطريق التربية وعمل المربي .

حسنة التدبير . ولذلك تركها زوجها تسوس ولده وحدها واثقاً بكفائتها وغنائها في ذلك .

لم يدخل هربارت مدرسة قبل الثانية عشرة من عمره لأمراض وأسقام عرته في صغره ، ولذلك أحضرت له أمه مؤدباً قديراً يعلمه في المنزل ، فأحسن تأديبه وعوده التفكير والتبصر في كل أموره ، وأكسبه قوة التأثير في التعبير ، وحبب إليه الآداب والفنون الجميلة ، حتى لقد كان وهو في الحادية عشرة من عمره يجيد التوقيع على الآلات الموسيقية المختلفة .

لما بلغ هربارت الثانية عشرة من عمره دخل مدرسة الآداب في « ألدنبرغ » ، فمكث فيها ست سنوات أتم فيها دراسة منهاجها المقرر . وفي سنة ١٧٩٤ دخل جامعة « يينا » وكانت من أزهر الجامعات الألمانية ، فدرس الفلسفة وأخذ عن الأستاذ « فشت » ومكث في هذه الجامعة ثلاث سنوات كانت عنايته فيها موجهة الى دراسة موضوعات التربية ؛ على أنه لم يكن قد عقد نيته بعد على أن يتخذ التعليم حرفة له .

استغاله بالتعليم

بعد سنوات ثلاث أقامها هربارت في جامعة يينا وقبل أن ينال درجته العلمية ، دعاه حاكم مدينة « إنترأكين » من أعمال سويسرا لتأديب أولاده ، فغادر الجامعة وذهب اليه وأقبل على العمل بعناية وإخلاص عظيمين . وكانت هذه هي تجربته الأولى والأخيرة في التعليم . قال أحد أتباعه : « قد يظن أن تجاريب هربارت في التعليم ضئيلة جداً لا تستحق الذكر ، فها هي إلا ثلاث سنوات قضاهما في أسرة خاصة يعلم أطفالاً ثلاثة تتراوح أعمارهم بين الثامنة والرابعة عشرة ، ولكننا نقول إن الرجل الذي يرى الشيء العظيم في الشيء الصغير ، فيرى النخلة الباسقة في النواة الصغيرة ، والنار المتأججة في الشرارة الحقيرة ، ويفهم عقول الأطفال جميعاً بدراسة عقليين أو ثلاثة ، ليس بغريب عليه أن تغنيه هذه التجربة وتكفيه » .

مكث هربارت يعلم هؤلاء الصبية ثلاث سنوات ، وكان يكتب لأبيهم مرتين في

كل شهر ليقفه على الطرق التي استخدمها في تعليمهم ويُدلّه على مبلغ نجاحهم وتقدمهم .
ولقد تضمنت كتبه هذه أصول طريقته ومذهبه في التربية ، ومن تأملها وقرأها بعناية
لم يخف عليه الجهد العظيم الذي بذله هر بارت في مراقبة تلاميذه ودراسة أخلاقهم
وطبائعهم دراسة علمية صحيحة تدل على عظيم إخلاصه في عمله . ولقد كانت هذه
التجربة هي الأساس الحقيقي لجميع أعماله في التربية والتعليم ، وهي التي زودته بالأمثلة
العملية التي ضربها لشرح طبائع الأطفال في جميع كتبه ومؤلفاته ، وهي التي حملته أن
يقول : « لا شيء أجدى في إعداد المعلمين لصناعتهم من أن يدرسوا عقول طائفة قليلة
من الأطفال دراسة عملية متقنة » .

اتصل هر بارت أثناء إقامته في سويسرا بالمربي العظيم بستالوتزي ، فذهب إليه
في برجدورف سنة ١٧٩٩ وزار معهده هناك ، فأعجبته مذهبهُ واستهوته طرائقه ،
وكان لهذه الزيارة تأثير كبير في عقله ، حتى لقد صحت عزيمته في ذلك الوقت على أن
يشتغل بالتعليم جميع حياته .

ترك هر بارت أعماله في سويسرا ورجع الى ألمانيا ليُتمّ دراسته في جامعة « برّيمن »
فأكب على دراسة الرياضة واللغة اليونانية سنتين متتاليتين ، وقد أخذ في غضون
ذلك يرفع من شأن المذهب البستالوتزي ، ويعمل على تهذيبه وتنقيحه وإيضاح ما فيه
من غموض ولبس ، فنكتب مقالاً واسعاً في التربية شرح فيه آراء بستالوتزي المودعة
في كتابه الموسوم « كيف تربي جرّترود أطفالها » ، وأتبعه برسائل أخرى كثيرة من
نوعه ، إلّا أنه لم يبق طويلاً على حسن ولائه لبستالوتزي ودفاعه عن آرائه ومبادئه ،
فقد أخذ بعد قليل ينقدها ويُسهر غموضها وحاجتها الى الترتيب والنظام ، على أن ذلك
لم يمنعه أن يوافقه في كثير مما ذهب اليه ، فقد رأى رأيه في جعل المشاهدة والمعاينة
أساساً للتعليم .

استغاله بالتأليف والتدريس في الجامعات

في سنة ١٨٠٩ عين هربارت أستاذاً للفلسفة في جامعة « كُونِنْجْسْبِرْغ » بعد وفاة الفيلسوف كانت الذي كان يشغل هذا المنصب ، والذي كان يعد أكبر الفلاسفة في عصره . ولقد كان فرح هربارت بهذا المركز السامي عظيماً . وقد أفضى بفرحه

هذا الى تلاميذه . وفي أثناء إقامته في هذه الجامعة أقبل على التأليف ونشر الكتب ، فنكتب في الفلسفة والتاريخ والتربية ، ووضع أصولاً محكمة في علم النفس بنى عليها آراءه وأفكاره في تربية الأحداث . بعد أن أقام أربعة وعشرين سنة في كُونِنْجْسْبِرْغ ذهب الى جُوتِنْج ليعلم الفلسفة في جامعتها ، وقد بقي بها حتى مات سنة ١٨٤١ . وفي هذه الجامعة اكب على تهذيب مبادئه وآرائه في التربية حتى صير التربية علماً مستقلاً . ومن مؤلفاته التي ألفها في آخر



يوحنا فردريك هربارت

١٧٧٢ - ١٨٤١

حياته كتاب « المختصر في مبادئ التربية » . وقد شرح فيه آراءه وأفكاره شرحاً عملياً ، وعرض فيه مذهبه على أحسن حال وصل اليها من الارتقاء والتهذيب

مدرسته التي أسسها للتمرين على التدريس

أنشأ هربارت في جامعة كُونِنْجْسْبِرْغ قسماً للمعلمين ، وألحق به مدرسة صغيرة للتمرين على التدريس كان يذهب اليها كل يوم ليعلم تلاميذها بنفسه ساعة من النهار في حضرة

الطلبة الذين لهم خبرة بآرائه ومبادئه في التربية ، حتى اذا ظن أنهم قد فهموا طريقته فهمًا صحيحًا ، دعاهم الى اللقاء دروس على هؤلاء الأطفال تحت إشرافه ومراقبته ، فإذا ألقوها نقدها نقدًا صحيحًا ، وبين محاسنها ومثالبها وأرشد بعد ذلك الى أقوم الطرق في تدريس هذه الدروس . وقد كان القصد من إنشاء هذا القسم على هذا النحو إعداد طائفة من الطلبة ليكونوا فيما بعد نظرًا للمدارس الابتدائية ومفتشين يفتشون التعليم ، وبفضل هذه الطائفة انتشرت مبادئ هربارت وتقدمت المدارس ، وارتقى التعليم في بروسيا وكذلك في جميع الأقاليم الألمانية .

آرائه في العقل الإنساني وطريق تكوينه

قد أوضحنا فيما سبق لنا أن بستاوتزى يذهب الى أن الطفل يولد مزودًا بجميع القوى والمواهب العقلية على نحو النظام الذى يوجد فى الرجال ، إلا أنها فيه كامنة غير نامية ، وأن عمل المربي ينحصر فى إيقاظ هذه القوى وإتمامها فحسب . أما هربارت فيخالف بستاوتزى فى ذلك ، ويقول إن الطفل لا عقل له حين يولد ، وينكر الغرائز والميول الطبيعية والاستعداد الفطرى ، ويذهب الى أن العقل نتيجة التربية ، أو هو مجموع الأفكار التى تصل الى الانسان عن طريق الحواس .

يقول هربارت إن الأفكار اذا تولدت فى النفس من انعكاس الصور الخارجية فيها ، بقيت ولم تخرج أبدًا ، وحاولت كل فكرة أن تظهر على اخواتها فى الوصول الى أعلى مرتبة فى دائرة الشعور ، فإذا تم الفوز لواحدة منها جذبت اليها ما يشاكلها من الأفكار ، وطاردت كل فكرة لا تلائمها فدفعتها الى حاشية الشعور ، وربما أخرجتها من دائرته إخراجًا . وإذا دخلت افكار جديدة بعد ذلك فإما أن تتشاكل هى والأفكار القديمة ، وإما لا ، فان كانت الأولى وجدت ما يعاونها فى أن تنبؤا مكانًا فى بؤرة الشعور ، وان كانت الثانية فما أشقى حظها ؛ تطاردها كل فكرة قديمة وتدفعها قليلًا أو كثيرًا على حسب قوة التنافر وضعفه . وبهذا نرى ما للأفكار القديمة من الأثر فى طرق إدراك المعانى الجديدة ودرجات وضوحها فى النفس .

نتائج آرائه في تكوين العقل

بنى هربارت على آرائه المتقدمة في تكوين العقل الإنساني نتائج خمساً لها شأن كبير في أعمال التربية والتعليم :

- (الأولى) أن للمربي أثراً عظيماً في صوغ عقول الأطفال وتكوينها
- (الثانية) أنه يجب على المربي أن يفتن دائماً للأفكار القديمة في ذهن التلميذ ، وان يستعين بها على إيصال المعاني الجديدة اليه .
- (الثالثة) ألا يألو جهداً في ربط مواد الدراسة بعضها ببعض .
- (الرابعة) أن يسير في دروسه على خطة ذات مراتب خاصة .
- (الخامسة) أن يعمل على تجميع مواد الدراسة بقدر ما هو مستطاع .

ولنذكر كلمة عن كل واحدة من هذه النتائج تزيد في إيضاحها وتشرح طرق الأخذ بها :

(١) أثر المربي في تكوين عقول الأطفال : لما كان الطفل يولد على رأى هربارت خلواً من الغرائز وأنواع الاستعداد ، كان للمعلم أكبر أثر في تكوينه ، فالإليه يرجع الفضل في ارتقاء مداركه وكمال أخلاقه ، وعليه تقع المؤاخذه إن أصبح سيئ الطبع ضعيف العقل .

(٢) الاستعانة بالمعاني القديمة في إدراك المعاني الجديدة : يذهب هربارت الى أن المعاني الجديدة اذا دخلت النفس أخذت تخطب ود المعاني القديمة فيها ، لتستعين بذلك على الإقامة في بيئة لا عهد لها بها ، وهناك تجد صواحب يُشاكلنها ويرحبن بها ويجذبنها الى بؤرة الشعور ، وتجد ايضاً عدوات لا يلائمنها ؛ يغضبهن لقربها ويعملن على مطاردتها ، ولذلك وجب على المعلم أن يأخذ بناصر هذه الأفكار الجديدة ، فيقرب مسافة الخلف بينها وبين القديمة ، ويعتد أواصر المودة بين الطائفتين باظهار ما بينهما من العلاقات والصلات . ومن هنا أوجب أتباع « هربارت » أن يعمل المربي جهده في ربط المعاني بعضها ببعض ، فعليه في فاتحة الدرس مثلاً أن يبحث في معارف التلاميذ القديمة ، ويستحضر منها ما يساعد على فهم درسه الجديد ، وليس ذلك من السهل على كل معلم ، فالمدرس الماهر الذي مارس التلاميذ نحوه من سنة ، يسهل عليه أن يعرف ما عندهم من المعارف القديمة التي يستطيع أن يتخذها أساساً لدرسه الجديد ،

أما المعلم الذى يحاول التدريس فى فرقة لا عهد له بها ، فقد يجد ذلك من الصعوبة بمكان

(٣) ربط مواد الدراسة بعضها ببعض : إن الأفكار القديمة تساعد على فهم الجديدة وتزيد درجة وضوحها ، والأفكار اذا اتصل بعضها ببعض صارت منبع قوة للإنسان وأفادته فى الحياة كثيراً ، اما المعارف المتقطعة التى لا صلة ولا تماسك بينها فهى واهية الأساس سريعة الزوال قليلة الجدوى فى الحياة . ولذلك أوجب أتباع « هربارت » أن يكون بين مواد الدراسة ارتباط متين فى التدريس ، فيجب أن تربط دروس الإملاء بدروس الخط والمطالعة مثلاً ، وأن تتصل دراسة التاريخ بدراسة تقويم البلدان ، وأن تتمشى دروس الرسم الى جانب دروس الرياضة والعلوم الطبيعية ، وأن تقرن دروس الآداب بدروس المحفوظات وهلم جرّاً .

إن هذا الربط يزيد مواد الدراسة جلاءً ووضوحاً ، ويساعد على بقائها وثباتها فى النفس ، ويدفع عن الأطفال ما يعترضهم من الملل والسآمة أثناء التدريس .

(٤) مراتب الدرس : لهربارت طريقة فى التدريس بناها على مذهبه فى تكوين العقل وما رآه من وجوب وصل المعارف بعضها ببعض ، وهى طريقة ذات مراتب خاصة يسير المعلم عليها فى تدريسه ، وقد كانت هذه المراتب أربعاً حين وضعها هربارت ، ثم هذبها أتباعه من بعده تهذيباً كثيراً ، وزادوا عليها واحدة ، وسموها بأسماء مختلفة ؛ وهى على ما ذكره الأستاذ « رين » أحد أتباعه المشهورين (١) المقدمة . (٢) العرض . (٣) الربط . (٤) التعميم . (٥) التطبيق . (١)

(١) تجل هذه الطريقة أن يبتدىء المعلم درسه بمقدمة قصيرة تتكون من جملة أسئلة تلقى على التلاميذ ليستحضر بها شيئاً من معارفهم القديمة التى لها صلة بالدرس الجديد ، والغاية من ذلك تشويقهم الى موضوع الدرس وتهيئة أذهانهم لفهمه . فاذا تم ذلك وانبعثت فى التلاميذ الرغبة الى سماع الدرس عرض المدرس عليهم مادته الجديدة مرتبة ترتيباً منطقياً ، واستخدم فى عرضها كل ما أفاد من وسائل الايضاح . بعد ذلك تأتى مرتبة الربط وفيها يقرن المعلم بين المعارف القديمة والجديدة ، ويبين ما بينها من الروابط والصلات ووجوه التشابه والتضاد ، والغاية من هذا الربط مساعدة التلاميذ على الفهم والذكر . المرتبة الرابعة مرتبة التعميم ، وفيها تستنبط التعاريف والقواعد العامة من الامثلة والمقدمات التى سبقت للتلاميذ . فى نهاية الدرس تأتى مرتبة التطبيق وهنا تستخدم القواعد العلمية فى المسائل العملية ، ولهذا التطبيق فوائد كثيرة فانه يقف المعلم على مبلغ فهم التلاميذ درسهم الجديد ، ويساعد على ثبات المعارف الجديدة فى الذهن ، ويظهر للتلميذ ما للعالم من الفائدة العملية فى الحياة الخارجية .

(٥) تجميع المواد الدراسية حول مركز واحد : إذا اختيرت المواد الدراسية لفرقة من الفرق ، وجبت العناية بترتيبها وتنظيمها تنظيماً يجمعها في الذهن ، ويظهر ما بينها من الروابط والضلات . ولهربارت في هذا الترتيب طريقة شائعة معروفة ، وهي أن يُختار لكل فرقة من الفرق الدراسية موضوع خاص يتخذ محوراً للتعليم ، ثم تجمع حوله المواد الدراسية ، وتربط به ربطاً يساعد على إدراكها ، فتكون كأنها مادة واحدة لا مواد منفصل بعضها عن بعض . وقد شاع في المدارس الألمانية أن يُتخذ « رُونِصُون كُرُوزُو » محوراً للتعليم في الفرق التي تبلغ أعمار الأطفال فيها عشر سنوات ، وهنا يقرأ التلاميذ قصته المشهورة في كتاب يناسب أَسنانهم ، ويكتبون موضوعات إنشائية لها صلة بأعماله وحياته ، وينشدون الأناشيد والأغاني في مرويته وشجاعته ، ويرسمون مختلف الأشياء التي تذكر في سيرته ، وتُرَبِّطُ دروسهم في تقويم البلدان بجزيته التي كان يسكنها ويتبدى منها أسفاره وهلم جرا . فتعمر بذلك ذكري « رُونِصُون كُرُوزُو » في كل مادة يدرسها الأطفال ، وفي كل درس يتلقونه ، وبذلك تظهر لهم المواد الدراسية وثيقة العرى متينة الارتباط .

رأيه في غرض التربية ومناهجها

غاية التربية على مذهب هر بارت أدبية محضة ، فهو يذهب الى أن الغرض منها هو تهذيب الأخلاق واكتساب الفضائل وقد قال في ذلك إن أعمال التربية جميعها يمكن تلخيصها في كلمتين هما « تهذيب النفس » .

أما المناهج الدراسية فيرى أن تكون مبسطة واسعة بحيث تربي في التلاميذ ميولاً مختلفة ، واهتماماً عاماً بشئون الحياة على اختلاف مناحيها وتباين مظاهرها . وقد قسم العلوم الى كونية واجتماعية ، وقسم العلوم الكونية الى حسية وفكرية وجمالية . ذلك أن كل ظاهرة من ظواهر الكون إن نظرنا اليها من جهة إحساسنا بها ، وانطباع صورتها في نفوسنا ، كانت مندرجة في العلوم الحسية . وان نظرنا اليها من جهة أن لها أسباباً ونتائج ، كانت مندرجة تحت العلوم الفكرية . وان بحثنا في جمالها وما تبعثه في النفس من السرور ، كانت من العلوم الجمالية .

أما العلوم الاجتماعية فقد قسمها أيضاً ثلاثة أقسام :

(١) ما يتعلق بواجب الإنسان لأخيه

(٢) ما يتعلق بواجب الإنسان لوطنه

(٣) ما يتعلق بواجب الإنسان لربه

وقد أوجب « هر بارت » أن تدرس كل هذه العلوم في المدارس على اختلاف أنواعها ، لا فرق بين ابتدائية وثانوية وعالية ، وخول المربي الحرية المطلقة في بسط موضوعات الدراسة أو إجمالها على حسب قدرة تلاميذه وكفاياتهم ، على شريطة ألا يهمل موضوعاً منها إهمالاً .

وعلى المعلم ألا ينسى ربط هذه العلوم بعضها ببعض أثناء التدريس ، حتى تظهر للتلاميذ كأنها علم واحد يبحث في موضوع واحد ، فإن ذلك يزيد إقبال التلاميذ على الدراسة ، ويبعث من شوقهم إليها .

نمحيص مبادئ ونقدها

وضع « هر بارت » مبادئه وأسسها على أصول ثابتة في علم النفس ، وهي مبادئ رشيدة لولا ما أخذ عليها من كثرة المغالاة ، وتقييد أساليب التربية بقيود أضاعت حرية المربين والمدرسين ، وأهملت فيهم قوى الابتكار والافتتان في استنباط طرق جديدة للتعليم ، إلا أن الذنب في هذه المغالاة وهذا التقييد يرجع أكثره إلى اتباعه وأنصاره لا إليه ، ولو أنصفه الناس فدرسوا مبادئه دراسة مثقنة ، وفرقوا بين ما وضعه بنفسه وما زاده أتباعه ، لرأوه من أشد الناس اعتدالاً في رأيه وفكره . ولنضرب لك الأمثلة التي تؤيد ذلك :

(١) شاع بين الناس أن « هر بارت » يرى أن الطفل يولد صفحة بيضاء خلوها من الغرائز بعيداً عن آثار الوراثة العقلية ، وإن عقله إنما يتكوّن من المعاني والصور التي تأتي إليه من الخارج فتنتطبع في نفسه . ولقد بنى أتباعه على مذهبه هذا أن الارتقاء العقلي ميسور للأطفال جميعاً على حد سواء ، لأنهم متساوون في أصل الفطرة ، وأن

للاتربية تأثيراً في الأطفال غير محدود ، فإن شاء المربي سقاهم من معين الحكمة والفلسفة كل قطرة ووصل بهم الى أرقى درجات النبوغ والارتقاء ، إلا أن « هربارت » لم يكن ليغلو كل هذا الغلو ، ولم يكن ليذهب إلى أن للمربي كل ذلك التأثير ، فقد كان يعترف أن أمهر المربين قد يعجز في كثير من الأحيان عن أن يصل بطفل من الأطفال إلى الغاية التي يريد لها . وإن بذل في ذلك منتهى الجهد وغاية الوسع ، ويعمل ذلك بأن في الطفل استعداداً جسمى يؤثر في الروح قليلاً أو كثيراً ، وأن هذا الاستعداد إما أن يكون عوناً للمربي على الوصول به إلى ما يرجي له من نبوغ وارتقاء ، وإما أن يكون عقبة في سبيله تحول بينه وبين الغاية التي يرمى إليها ؛ فهو وإن أنكر الوراثة العقلية يثبت الوراثة الجسمية ، ويقول باختلاف الأطفال في استعدادهم المادى . ومن أجل ذلك أوجب على المربين أن يُعَنُوا بدراسة الطبائع المادية للأطفال ، وأن يسيروا في تربيتهم سيراً يلائم هذه الطبائع .

فأنت ترى أن « هربارت » لم يركب شططاً في عقيدته هذه ، ولم يذهب إلى أن مصير الأطفال معقود بأيدي المربين فحسب ، وهو وإن كان شديد الإيمان بالتربية موفور الثقة بعظيم تأثيرها ، يرى أن للوراثة المادية دخلاً كبيراً ، فقد تنهضها وتيسر أعمالها ، وقد تقف في سبيلها وتسد الطريق على القائمين بأمرها .

(٢) يذهب « هربارت » إلى أن كل مادة من مواد الدراسة يجب أن تعرض على الأطفال بطريقة مشوقة جذابة سارة للنفس ، ولكنه من جهة أخرى لا يسوغ ذلك التشويق المصطنع المتكلف الذى عيبت به طرائقه واتهمت به خطأ . ومما قاله في ذلك « إن المبالغة في وسائل التشويق والمغالاة في الحرص على تسهيل الدروس بطرق مصطنعة متكلفة ، لمن أعظم الأسباب التى تعمل على تضليل التلاميذ واختلاط المعانى في نفوسهم . وإنه لمن الخطأ البين أن تذلل لهم صعوبات الدروس كل التذليل وأن تساق اليهم الأعمال هيئة سهلة ؛ فإن التلميذ الذى لا يكلف شيئاً من الأعمال الصعبة الشاقة على النفس يبقى جاهلاً بمبلغ قوته ، فلا يدري أى الأعمال يستطيع النهوض به وأيها لا يستطيع » . وقال أيضاً « قد يبذل المعلم جهده في تشويق التلاميذ

ولا ينجح في أسر انتباه تلميذ في الفرقة ، ولذلك يجب عليه أن يلتجئ — في بعض الأحيان الى الانتباه الاختياري الذي يبذله الطفل بمحض إرادته وعزيمته .

(٣) من مبادئ « هر بارت » المشهورة وجوب ربط مواد الدراسة بعضها ببعض ، وربط أصول المادة الواحدة كذلك ، ولكنه مع هذا كان يأبى المغالاة في ذلك الربط ، ولا يقبل منه إلا ما كان طبعياً غير متكلف .

(٤) لما رأى « هر بارت » أن الطفل في حياته العقلية يشبه الرجل في العصور الأولى عصور الهمجية ، ذهب إلى أنه من الواجب أن تسير تربية الطفل في الطريق التي سارت فيه تربية النوع ؛ ولذلك حاول وضع منهاج للدراسة يساعد على جعل الارتقاء الفكري في الطفل شبيهاً بالارتقاء الفكري في النوع ؛ إلا أنه لم يتح له أن يفصل هذا المذهب تفصيلاً واسعاً . ولما أتى « زلر » أحد أتباعه المشهورين غالى في هذه الفكرة ، ووضع النظرية المشهورة بنظرية العصور التهذيبية على ما سيأتى بيانه .

(٥) وضع « هر بارت » طريقته في التعليم ، وقسمها الى مراتب عدة مؤسسة على طريقة اشتغال العقل بأعماله ، ورأى ألا تدرس مادة بأكملها أو جزء من مادة مستقل بذاته ، حتى تستخدم فيه كل هذه المراتب التي ذكرها . وعلى رأيه هذا قد تظهر المراتب جميعها في درس واحد إن كان الدرس موضوعاً من الموضوعات الكاملة المستقلة ، وقد لا تظهر الا في دروس عدة إن كان كل درس يستوعب جزءاً من المادة غير مستقل بنفسه . فاذا كان هذا هو مذهب « هر بارت » فلا وجه إذاً لمن يعيب طريقته بأنها تقضى أن تصاغ الدروس جميعها في قالب واحد ، وأن تصقل صقلاً واحداً ، مع أن لكل درس ميزات تستدعى أن يسبك سبكاً خاصاً . نعم قد غالى كثير من أتباعه في استعمال هذه المراتب ، وحرصوا على استخدامها في كل درس من الدروس مهما كان نوعه ، فألى هؤلاء يجب أن يتجه اللوم والنقد .

انتقار مبادئ

(١) في ألمانيا : لم يكن لمبادئ « هر بارت » شيء من الشهرة في بادئ الأمر ، ولم يكن من الناس من يعرفها ويهتم بشأنها إلا نفر قليل من أتباعه وأنصاره ، ولكنها

لم تلبث طويلاً على هذه الحال ، إذ لم يمض ربع قرن كامل على وفاة صاحبها حتى قامت مدرستان زاهرتان وسارتا على هذه المبادئ ، أولاهما مدرسة « سُتْوى » والثانية مدرسة « زِكر » وقد أخذت كل واحدة من المدرستين المذكورتين تبذل وسعها في تطبيق مبادئ « هر بارت » إلا أنهما اختلفتا في ذلك اختلافاً واسعاً . فبينما ترى المدرسة الأولى قد حافظت جهدها على نصوص المبادئ الأصلية ولم تنعدها قيد شبر ، ترى الثانية قد غالت في تطبيقها وتوسعت في تأويلها توسعاً أبعد ما أبعد بعض البعد عن الأصل الذي وضعت عليه .

كان « تِسْكُون زِكر » (١٨١٧ - ١٨٨٢) لا يألو جهداً في بسط طريقة هر بارت وتوجيهها الى الشعب ، وقد عمل أعمالاً عظيمة في هذا الشأن أيام كان معلماً في مدارس الآداب ، وحين كان أستاذاً في جامعة « ليزك » ، فمن ذلك أنه كوّن جماعة للدراسة التربوية دراسة علمية عرفت بجماعة هر بارت ، ولا تزال هذه الجماعة قائمة الى الآن تهض بأعمال التربية وتسير بها الى الأمام . ومن أعماله أيضاً أن هذب نظريتي ربط المواد الدراسية وتجميعها حول موضوع واحد يكون بمثابة محور تدور حوله . وهو أول من قرر نظرية العصور التهذيبية تقريراً جليلاً لا خفاء معه ، وقد وضع فوق ذلك منهاجاً للدراسة ينطبق على هذه المبادئ كل الانطباق .

أما « كارل فُولْكمار سُتْوى » (١٨١٥ - ١٨٨٥) مؤسس المدرسة الثانية الالفة الذكر ، فلم يزد شيئاً على مبادئ هر بارت سوى أنه جاهد في نشرها وأكسبها قوة لم تكن لها من قبل . وقد أسس مدرسة للتمرين في « بينا » وسار بها على مبادئ هر بارت الأصلية .

جاء بعد ذلك جمع عظيم من معلمى المدارس وأساتذة الجامعات في ألمانيا وآزروا جميعاً مذاهب هر بارت ، واستخدموها في حجرات التدريس ، وهم وإن اختلفوا في آرائهم وتباينوا في طرائقهم وابتعدوا عن المعين الذى اغترفوا منه ، لا يزالون ينسبون الى هر بارت ، ويدعون جميعاً أتباعه وأنصاره .

استمرت الدعوة الى مذاهب هر بارت ومبادئه ، وتوسع الناس في تطبيقها

واستخدامها، ولم يقفوا بها حيث وقف صاحبها، فبعد أن كان هربارت يدعو الى الاهتمام بدراسة التاريخ والآداب واتخاذهما وسيلتين لتهديب الأخلاق، ويقصر ذلك على المدارس الثانوية فحسب، قام متأخرو أتباعه وأوجبوا العناية بهذين العلمين في المدارس الابتدائية أيضاً، على أن يسوق المدرس حديثه عنهما مساق القصص والحكايات والتراجم الموجزة. وبذلك نال التاريخ في المدارس الألمانية منزلة عالية بين مواد الدراسة، وأصبح علماً مستقلاً بذاته لامتصاصاً لدروس المطالعة وتقويم البلدان كما كان سابقاً.

كان من نتيجة انتشار الدعوة الهربارتية أن شاعت بين المربين الألمانين فكرة اتخاذ التاريخ وسيلة لغرس الخلال الطيبة في الأحداث، وأن أخذ المعلمون في المدارس الألمانية يعنون بما في تاريخ بلادهم من الموضوعات التهديبية أكثر من عنايتهم بموضوعاته السياسية، وقد وضعوا لهذا الغرض منهاجاً ثنائياً ضمنوه تاريخي أمتين شهيرتين؛ بأولهما تاريخ اليهود مسوقاً في أقاصيص مختارة من التوراة، وثانيهما تاريخ الألمان مصوغاً في قوالب حكايات وقصص شائعة؛ وأوجبوا دراسته في المدارس الابتدائية.

(٢) في الولايات المتحدة بأمريكا: كان لهذا المذهب في الولايات المتحدة آثار عظيمة واضحة تفوق آثاره في أى بلد آخر متى استثنينا الأقاليم الألمانية. والفضل في نشر الدعوة الى هذا المذهب في تلك الولايات يرجع الى طائفة من المعلمين الأمريكيين درسوا في جامعة « يينا » بألمانيا في أوائل القرن التاسع عشر، ثم رجعوا الى بلادهم مملوئين إيماناً بأن في مذاهب هربارت حلاً لمشكلة التعليم وإصلاحاً لأحوال التربية في أمريكا، وابتدءوا من فورهم يدعون الناس الى عقيدتهم، فلاقى الدعوة نجاحاً كبيراً. وفي سنة ١٨٩٥ تكونت في هذه البلاد جماعة كانت ترمى الى دراسة التربية دراسة علمية مستفيضة، وقد أنشأت مجلة سنوية تنشر فيها نتائج أعمالها وبحوثها، فلم يحل عليها الحول حتى كان المنتظمون في سلكها يبلغون سبعمائة. وبفضلها أصبحت المذاهب الهربارتية تدرس في الأندية والمدارس والجامعات، حتى لقد قال الدكتور تاريخ التربية (٤٣)

« هرس » في تقريره العام عن التربية في سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ « لقد أصبحت الولايات المتحدة وفيها من أنصار هر بارت وأتباعه أكثر ممن يوجد منهم في البلاد الألمانية » .

كان من نتائج انتشار هذا المذهب في الولايات المتحدة أن اتجهت العناية الى التوسع في دراسة التاريخ في مدارسها الابتدائية ، وأن أصبح للمربين من دراسته أغراض أوسع وأعم ؛ فبعد أن كان منهاجه لا يشمل سوى التاريخ الأمريكي ، أصبح يشمل فوق ذلك تاريخي الإنجليز والألمان وشذرات ممتعة من تاريخي اليونان والروم . وبعد أن كانت دراسته مقصورة على الفرق الراقية أصبحت تبتدىء من الفرق الثالثة فصاعداً . على أن الفرقتين الأوليين قد نالتا بعض الحظ من ذلك ، فقد صيغت لهما قصص وحكايات تاريخية وتراجم موجزة تلائم أسنان الأحداث فيهما . وبعد أن كان المدرسون لا يقصدون من دراسته سوى تحبيب الأوطان الى الأطفال ، أصبحوا يرمون فوق ذلك الى غرس الفضائل في النفوس ، ويعملون على ترقية شئون الأفراد والجماعات .

كذلك كان حظ دراسة الآداب عظيماً في هذه البلاد بفضل انتشار هذه الدعوة أيضاً ، فقد أصبحت المؤلفات الأدبية الثامة تجد مكاناً فسيحاً في المدارس الابتدائية ، بعد أن كان لا يدرس منها إلا مختارات وجيزة .

فروبل

هو فِرْدْرِيك وَلِهْلَمْ فِرْوِبِل تلميذ بستاوتز وباسط مبادئه في التربية وصاحب الفضل في تأسيس روضات الأطفال ، ولد سنة ١٧٨٢ في « أُوْبِرْفُزْبَاخ » وهي قرية ألمانية في غابة تُورِنْجِيَا البديعة الجميلة ، ولم تعش أمه بعد ولادته إلا قليلاً . أما والده فكان قسيساً ، وكانت أعمال مهنته كثيرة تحول بينه وبين العناية بتربية ولده ، فتركه لخدمة في منزله وعهد اليها بتدبير شئونه وسياسة أموره ، إلا أنها قصرت في الأمانة التي قبلت حملها وأهملتها كل الإهمال .

ولما بلغ الوليد من العمر عشر سنوات ذهب إلى خاله وعاش معه في استاتلم ، وهي مدينة لا تبعد كثيراً عن أوبرفزاباخ . ومن فضل خاله عليه أن أدخله المدرسة حيثكثر رفاقه وأصحابه ، وحيث مكث أربع سنوات تعلم في أثنائها جملة من العلوم الابتدائية وقليلًا من اللغة اللاتينية . ومما كتبه عن هذه المدرسة بعد ذلك بأربعين سنة قوله : « تأملت المدرسة أول ساعة دخلتها فإذا التلاميذ جميعًا يرتلون آية الإنجيل (ليكن دين الله أول همك وأول شيء تسعى إليه) فكان لهذه الآية من الروعة والأثر في قلبي ما لم أشعر بمثله قبل ذلك الوقت أو بعده ؛ نعم كان الأثر في نفسي شديدًا حتى لقد بلغ من قوته أني أذكر الآية الآن كلمة كلمة ، وأحس أصوات الأطفال ونغماتهم واضحة جلية في نفسي كأن لم يمض عليها أربعون عامًا » .

في السنة الرابعة عشرة من عمره عاد إلى مسقط رأسه أوبرفزاباخ فرأى أبوه منه ميلًا إلى الأعمال الخلوية فأرسله إلى رجل من عمال الحراج في غابة تورنجيا الشهيرة ليتخرج في أعمال الهندسة وصيانة الأشجار ومسح الأراضي وتقدير قيمها فكث هناك ثلاث سنوات وهو في أحضان الطبيعة ؛ يتأمل مشاهدتها ، ويرقب أعمالها وطرائقها ، ويستنبط منها النتائج الثابتة والحقائق العلمية الصحيحة مما كان له أبلغ أثر في جميع أدوار حياته . في سنة ١٧٩٩ دخل فروبل جامعة « يينا » حيث سمع دروسًا ومحاضرات في الرياضة وعلم النبات والتاريخ الطبيعي والطبيعة والكيمياء وفي الشؤون المالية وأعمال الحراج وهندسة البناء . ومما كتبه عن دراسته علم النبات قوله « كان أستاذي في هذا العلم عاقلًا حاذقًا ماهرًا مملوءًا رحمة وحنانًا كثير الغيرة على علمه شديد الحرص على نفع تلاميذه . وبفضل إرشاده وعظيم عنايته اتسعت خبرتي بالطبيعة وأسرارها . وازداد ميل إليها وشغفي بها . وإني لا ذكره الآن وأذكر له أيادي وصنائع لن أنساها ماحيت » . وبعد ثمانية عشر شهرًا قضاها في الجامعة ضاقت به نفقته وركبه الدين ، ولما ظهر عجزه عن إيفاء غرمائه زُجَّ في السجن فلبث فيه تسعة أسابيع ، ثم أطلق على أن يقضى دينه من ميراثه المرجو له .

بعد إطلاقه من معتقله ذهب إلى بلده ومسقط رأسه وأكب فيه على دراسة

الآداب الألمانية ، ولكنه لم يلبث طويلاً حتى فاجأت المنية أباه ، فألجأته الحاجة الى البحث عن عمل يكسب به قوته ، وظل أربع سنوات يحترف حرفاً مختلفة ويشغل مناصب متنوعة لا تبعث في نفسه سروراً ولا تكسبه مالا كثيراً .

اشتغاله بصناعة التعليم

في سنة ١٨٠٥ ذهب الى مدينة « فُرَانكفُورت » ليدرس هندسة البناء ولم يلبث هناك طويلاً حتى عرفه الدكتور « جِرُونر » رئيس احدى المدارس في هذه المدينة ورأى فيه من الهبات الطبيعية والمكتسبة ما يكون له خير معين ان هو احترف صناعة التعليم ، فازدلف اليه وقال له : « دع عنك أعمال البناء وهندسته فانها صناعة لا تصلح لها ولا تصلح لك ، وأقبل على التعليم فانه خير لك منها ، وفي مدرستنا منصب خال أعدك به لو قبلت الدخول في صناعتنا » . فتردد الشاب قليلاً ثم قبل . وفي أول مرة دخل فيها المدرسة وزاول عمله ، داخله من الغبطة والانشراح ما أقنعه بأنه اهتدى في آخر أمره الى العمل الذي أعدته الطبيعة له . ومن رسالة له كتبها إلى أخيه في هذا الشأن قوله : « يخيّل إليّ الآن أنّي خلقت للتعليم وأنّي لا أصلح لعمل سواه ، فاني أشعر حين اشتغالي به أنّي طليق في بيئة توافقني وتلائم طبائعي كما تشعر السماء وقت سباحتها في الماء والطيور حين تحليقها في الهواء . وانك يا أخي لا تستطيع أن تقدر السعادة التي أجدها في نفسي حين أقضى الأوقات فيه ، وأفكر في غاياته وأغراضه السامية ، وأرى الأطفال من حولي يعرفون الجميل ويمجزونني عليه بالحب الخالص والود الصحيح » .

بقي « فروبل » في مدرسة « جِرُونر » سنتين كاملتين نجح فيهما نجاحاً باهراً وحقق ظن رئيسه به ، اذ برهن على كفاية نادرة واستعداد غريب لصناعة التعليم ، حتى لقد أصبح تلاميذه أحسن تلاميذ المدرسة علماً وأدباً وذكاءً ونشاطاً ، إلا أنه لم يكتف بهذا النجاح الذي أحرزه ولم يرض إلا أن يعد نفسه لهذه الصناعة إعداداً خاصاً ، فصحت عزمته على أن يذهب الى « بستالوتزي » ليأخذ عنه طرائقه ومذاهبه في التربية ، فمضى اليه في « فُردون » سنة ١٨٠٨ ومضى معه ثلاثة أطفال عهد اليه

بتربيتهم في أية قرية يختار من قرى الريف ، فأقام معهم في صحبة هذا البطل العظيم سنتين كاملتين كان فيهما كما قال عن نفسه معلماً وتلميذاً معاً . ومما قاله في ذلك :
« كانت تجاربي واسعة في «فردون» فقد درستُ هناك لُعبَ الأطفال ، وخبرت جملة كبيرة من الألعاب التي يلعبونها في الهواء الطلق ، وعرفت ما لها من الأثر الشديد في إيقاظ القوى الفكرية وإثراء الأرواح والأبدان » . ولا يسعنا تلقاء اعترافه هذا إلا أن نضم أصواتنا الى أصوات القائلين بأن روضات الأطفال مدينة بوجودها الى بستاوتزى . فهو أول من أوصى بها ونبه الأفكار عليها وان كان فضل العمل والجهاد في إخراجها وإبرازها على الصورة البديعة الناضجة المعروفة الآن يرجع الى بطلنا العظيم ولهم فروبل .

هكذا كانت رحلته الى «فردون» ذات فوائد جمة فقد اكتسبته خبرة واسعة بأعمال التربية ، وزادت في ميله وحبهِ لصناعة التعليم ، ووقفته على مذهب بستاوتزى وطرائقه الحديثة ، وقوّت إيمانه بهذا المربي قوة دعتهُ الى اقتفاء أثره واتهاج طريقته وأخذ الباب من مذهبه ، ولكن بعد أن هدبهُ وأدخل عليه من وجوه الإصلاح ما جعله مذهباً جديداً ينسب اليه .

دراسته في جامعة جوتنبرج وبرلين

في سنة ١٨١٠ عاد «فروبل» مع تلاميذه الثلاثة الى مدينة فراانكفورت ، ولما كان قد عاهد أباهم أن يتولى تربيتهم ثلاث سنوات كاملة ، لم ير بدّاً من الوفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه والبقاء معهم الى آخر مدتهم . ولما انقضت هذه المدة في شهر يوليو سنة ١٨١١ أسرع الى جامعة جوتنبرج وانتظم في سلك طلابها ليزيد في معارفه ، وليعد نفسه إعداداً كاملاً للعمل الذي وهب نفسه له ، فأقام بها حيناً يدرس اللغات والعلوم الطبيعية ، ثم انتقل الى جامعة برلين حيث أقبل على التنقيب والبحث في التاريخ الطبيعي وعامى المعادن وطبقات الأرض ، فوصل في هذه العلوم الى غاية بعيدة .
وفي سنة ١٨١٣ أجاب داعي الوطن ، فانخرط في زمرة الجيوش البروسية التي

جاهدت في سبيل الحرية وقاتلت الغازي العظيم نابليون بونابرت . وانا لا نريد أن نتعرض لحياته الجندية في شيء ، إلا من جهة صلتها بأعماله في التربية ، فقد كان لها أثر كبير في انضاج آرائه وتهذيب مبادئه وإخراجها إلى دائرة العمل . ذلك أنه عرف هناك شابين مهذبين من الجنود المتطوعة كان لهما اهتمام شديد بأمور التربية وشغف عظيم بسماع آرائه فيها ، فكانوا يجلسون جميعاً بالقرب من نار المعسكر ليلاً ويتجادبون أطراف الأحاديث ويناقشون مسائل التربية والتعليم . ولقد وقعت مبادئه من هذين الشابين أحسن وقع فشجعا وكأنا له فيما بعد خير معين على نشر مذهبته وتحقيق أمانيه . ذانكم الشابان هما « وإلهلم مِدِنْدُورْف » و « هنريخ لَانجْشول » طالبان من الطلاب النابغين في جامعة برلين .

أولى مدرسه

في سنة ١٨١٦ عاود فروبل صناعة التعليم ، فأسس مدرسة في « جَرِيشيم » وسماها المعهد العلمي الألماني العام ، ولم يكن بهذه المدرسة عند تأسيسها من المعلمين سواه ، كما لم يكن بها من التلاميذ إلا خمسة هم أولاد أخويه ، وقد أخذ يعلمهم على طريقته الخاصة ومبادئه التي ارتضاها في التربية . وفي سنة ١٨١٧ حضر إليه صديقه « مِدِنْدُورْف » وأتى معه بتلميذ سادس ، ولم تمض إلا شهور قليلة بعد ذلك حتى وافاها صديقهما الحميم « لَانجْشول » فاشتركا جميعاً في العمل . وقد زاد عدد التلاميذ في المدرسة فبلغوا اثني عشر تلميذاً .

انتقاله بمدرسته إلى كيلهرو

في سنة ١٨١٧ انتقل فروبل بمعلمه إلى « كيلهرو » وهي قرية بالقرب من رُودْلَسْتَات في غابة تورنجيا الشهيرة . وقد لاقى هناك في أول الأمر صعوبات مالية شديدة ألجأته في كثير من الأحيان أن يعيش هو وتلاميذه ومساعدوه عيشة خشنه . ولكنه على الرغم من ذلك ثابر على العمل ، وشد أزره في ذلك صديقه ، وعاوناه بكل ما فيهما من حول وقوة .

وقد كان ذلك إلى سداد طرائقه وصائب آرائه التي سار عليها في التربية سبباً في

انجاح المعهد ونتاجه النتائج الباهرة المدهشة حتى أقبل عليه التلاميذ من كل حدب ، فضاق بهم المكان على سعته ، وتوافر لديه المال ، وبذلك استطاع هو ومن معه أن يعيشوا عيشة أرغد وأنعم من عيشتهم فيما قبل .

أما نظام المدرسة فقد كان سديداً ومرعياً ككل الرعاية ، وكانت العناية بنظافة التلاميذ وأما كن الدراسة بالغة غايتها ، ولم تكن هناك من عقوبة متبعة في الغالب سوى نقص وظائف المذنبين وقت الغداء ، وقد كانت هذه العقوبة على سهولة احتمالها كافية لردع التلاميذ وتقويم أخلاقهم . أما العطلات المدرسية فكانت قصيرة وقليلة حتى لقد كان التلاميذ يقيمون في المدرسة سنوات عدة من غير أن يذهبوا الى أوطانهم ، إلا أنهم في شهور الصيف كانوا يخرجون الى الغابات والحقول كثيراً مع المدرسين ليدرسوا أنواع النبات وصنوف الأزهار ويتأملوا مشاهد الطبيعة .

مكث فروبل رئيساً لهذا المعهد أربعة عشر عاماً جاهد في أثناءها جهاد الأبطال حتى بلغ المعهد على يديه من النجاح مبلغاً عظيماً ، وكثر تلاميذه حتى نيف عددهم على الستين . وكانوا جميعاً يُعَدُّون في هذا المعهد للدخول في الجامعات . وقد وصلوا من صحة الأبدان وكمال الأخلاق الى غاية لم تجد معها الأمراض ولا العادات السيئة اليهم سبيلاً . أما هو فقد استطاع في هذه المدة أن يُخرج آراءه وأفكاره مخرجاً عملياً ، وقد قوّي إيمانه بها ذلك النجاح الباهر الذي ظهرت آثاره في التلاميذ ، إلا أن ذلك النجاح - وأأسفاه - لم يدم طويلاً ، فقد نشأت في ألمانيا بعد انتصارها على بونابرت حركة ثورية عنيفة هاج فيها الشعب وثار على حكومته ، طالباً بتبديل دستورها وقبَل نظامها . فكانت روعة الحكومة من هذه الحركة شديدة وخوفها منها عظيماً ، حتى أخذت تنزعج لكل جديد وتضطرب لكل فكرة حديثة ، وحدث من جراء ذلك أن نظرت الى هذا المعهد بشيء من الريبة ، وظنت فيه ظن سوء ، فاعتقدته دسيسة من دسائس الثورة وقلب النظام . وهي تهمة فاسدة لا نصيب لها من الحق ، فإن فروبل لم يكن مع الثائرين ، ولم يرْمِ الخروج على حكومته ، ولم يقصد الى إحداث انقلاب في أي شيء سوى أعمال التربية ومبادئها . على أن الحكومة لما أرادت أن تثبت من أمر هذه المدرسة

أرسلت إليها بعثة لتفتيش أعمالها والبحث عن أغراضها ومقاصدها ، فأثبت التقرير براءة المدرسة مما اتُّهمَتْ به على غير حق . ولكن على الرغم من ذلك لم ترشح إليها الحكومة ، ولم تنظر إليها نظرة رضا ، فَحَذِرَهَا الأهْلون وانبعث الرعب الى قلوبهم ، وأخذوا يخرجون أولادهم منها تباعاً حتى لم يبق فيها من التلاميذ في آخر الأمر إلا خمسة لا غير . لم ير فروبل تلقاء هذه الفادحة العظيمة الا أن يغادر كيلهو ويترك مدرسته لزملائه يديرونها كما يشاءون ، فغادرها سنة ١٨٣١ وذهب الى حيث يلتبس المساعدة من اخوانه وأصدقائه .

وفي أثناء اقامته في كيلهو أقبل على التأليف رغبة في نشر مبادئه وتنبيه الناس على أعماله في مدرسته ، فألف كتابه الشهير الذي سماه « تربية الانسان » وهو أعظم كتبه وأنفسها . وكتب رسائل ومقالات أخرى ساعدت على اعلان مذهبه ، الا أنه لم يكن من الكتاب القادرين ، فقد كان أسلوبه جافاً معتقداً لا يفصح عما تحته من المعاني ، ولذلك لم يقبل على قراءة كتبه الا الخاصة من الناس وقليل ما هم .

أول روضة لمرطفال

بعد تجارب طويلة رأى فروبل أن التربية في المدارس لم تنزل بعد الغاية التي وصلت اليها واهنة الأساس قليلة النفع ، وأنه لا سبيل الى إصلاحها الا بإصلاح حضانة الأطفال وتربيتهم تربية تلائم طبائعهم وتوافق غرائزهم . لذلك أقبل على النظر في التربية الأولية ، فدرس ما كتبه كومنيوس عن مدارس الأطفال الصغار وتفهم آراءه وأفكاره فيها ، وتأمل أعمال بستالوتزي وما وصل اليه في هذا الشأن ، ثم راقب الأطفال عن كثب وتبصر في أحوالهم وطبائعهم جميعاً ، فوجد فيهم ميلاً الى الحركات الجماعية ، وابتهاجاً باللعب ، وغراماً باستخدام حواسهم فيما يحيط بهم من الاشياء ، واهتدى الى ما فيهم من حب الاطلاع والتملك والشغف بحل الأجسام وتركيبها ، واستعان بذلك كله على ابتداع نوع من حضانة الأطفال تلعب فيها الميول السابقة دوراً ، وتستمال فيها الغرائز الى إصدار آثارها في جهات نافعة للتعليم ناهضة به . ولما صححت عزيمته على ابراز

فكرته وإخراجها مخرجاً عملياً، عمد إلى مصنع من مصانع البارود المهجورة في «بلاكينبرج» وهي مدينة قريبة من كيلهو فأسس فيه أول روضة للأطفال^(١)، وأسس معها قسماً صغيراً لإعداد طائفة من الشواب ليكن في المستقبل حاضنات ومعلمات لصغار الأحداث، ثم عمد بعد ذلك لإذاعة أمرها بين الناس على يجد فيهم من يعاضده ويناصره على النهوض بها إلى الغاية التي يرجو لها، فأنشأ لذلك الغرض صحيفة أسبوعية يصف فيها أعمال المدرسة ونظام التربية فيها، وأخذ يخطب الناس ويلقي المحاضرات ينشر بها آراءه ومبادئه. وفي مايو سنة ١٨٤٠ حين كانت المدرسة في حاجة شديدة إلى المعونة المالية، نشر على الناس كتاباً يستندى فيه أكف المحسنين، إلا أنه على الرغم من صبره وجهاده لم يجد من المعاضدة المالية ما يسد حاجة المعهد، فاضطر إلى إغلاقه سنة ١٨٤٤. وقبل إغلاقه بسنة نشر كتاب أغان وصور للأمهات والأطفال الصغار، فكان أحب مؤلفاته إلى الناس وأكثرها أثراً في نشر دعوته بما حواه من الخطط السديدة والآراء الرشيدة.

محاضراته وأثرها في نشر مبادئه

لما منى فردريك فروبل بالفشل في مدرسته هذه، عمد لنشر دعوته من طريق المحاضرات، فطاف في ألمانيا وحاضر في جهات كثيرة منها ولاقي من الناس إقبالاً عظيماً. وبعد سنوات خمس قضاهما على هذه الحال دُعي إلى تأسيس روضة للأطفال

(١) لم يهتد فروبل إلى تسمية مدرسته بهذا الاسم إلا بعد سنوات عدة من مبدأ تأسيسها، وقد كان اهتمامه إلى ذلك بطريق الإلهام بعد حيرة شديدة واجهاد فكري عظيم. ولقد قص صديقه وزميله «باروف» حكاية اهتمامه إلى هذا الاسم فقال «مضت أزمان طويلة لم يوفق فيها فروبل إلى اسم يرتضيه ويطمئن إليه، حتى كنت أنا وهو وصديقنا مهندورف نتمشي جميعاً بين الحقول والمزارع وكنا في طريقنا إلى بلاكينبرج، ومهندورف يحدثنى وأحدثه، وهو لاه عنا لا يصغي إلى شيء من حديثنا، ولقد لحظناه طول الطريق مفكراً يردد قوله: «آه لو أتى أوفقي إلى اسم ملائم أدعو به معهدى» ولبثنا كذلك مدة طويلة حتى اقتربنا من المدينة، وبينما نلحظه ساجداً في تصورات غارقا في تأملاته، إذا به قد وقف فجأة وثبت في مكانه كأنما سحر إلى الأرض وقد لمعت عيناه وصار لهما بريق شديد، ثم صاح بين الجبال صيحة شديدة كان لها دوى عظيم وقال بأعلى صوته «لقد اهتديت إليه. روضة الأطفال. هذا هو الاسم الذي سأدعو به معهدى».

في « ليبينزرتين » ، وهي قرية في غابة تورنجيا ، وهنا عرّف سيدة من فضليات النساء كانت له أكبر نصير فيما بقي من حياته . تلك هي « برثا بارونة مارنهلتنز بلو » . وقد استطاعت هذه السيدة بما لها من النفوذ العظيم والشغف بأمور التعليم أن تشد أزره وتعاونه فيما قصد إليه من الأعمال ، فاستأجرت له في سنة ١٨٥٠ قصر مارتشول ليتخذها مدرسة للفرق التي كان يمرنها على أعمال التربية وحضانة الأطفال . ودعت إليه كثيراً من نبلاء البلاد وأعيانها وذوى النفوذ الواسع فيها ليزوروا معهدهم ويروا أعماله وطرائقه ، ومن أعمالها في هذا السبيل أن نشرت بعد مماته مقالاً مسهباً وصفت فيه أعماله وجهوده في السنوات الثلاث عشرة الأخيرة من حياته .

لم يكد فروبل ينتعش بهذه المساعدات التي أتته على يد هذه السيدة ، حتى روعته الحكومة بقرار قضت به على نظام روضات الأطفال قضاء مبرماً ، وتفصيل ذلك ان ابن أخيه كارل فروبل كان قد نشر مؤلفات له في التربية وضمنها كثيراً من آرائه الاشتراكية وعقائده الإلحادية ، ففزعت لها الحكومة والتبس عليها الرجل بابن أخيه على الرغم من تباينهما في الرأي والفكر والعقيدة ، فأمرت من فورها بإغلاق روضات الأطفال في كل أنحاء المملكة ، فارتاع لهذا القرار « فردريك فروبل » وارتاع معه أصحابه ، وهبوا جميعاً يدفعون التهمة عن أنفسهم ، ويعملون على إقناع وزير المعارف في ألمانيا بأن هذه المؤلفات التي نشرت لم تكن له ، وأن الحكومة قد أخطأت إذ تشابه عليها الاسمان فلم تفرق بين الرجل وابن أخيه ، إلا أن ذلك لم يجدهم نفعاً . كذلك لم يجدهم أن أرسل فروبل جميع مؤلفاته ورسائله ومقالاته الى برلين ، ليبرهن للحكومة على أن آرائه ومبادئه لم تكن فيها شائبة من شوائب الإلحاد أو الخروج على الحكومة . كذلك لم يغنهم أن رفعت « بارونة مارنهلتنز بلو » ظلامته الى الملك ودافعت عنه بكل ما فيها من حماسة واقتدار . لم ينفعه أيضاً أن اشترك عدد وفير من المعلمين من جهات وأصقاع مختلفة في الاحتجاج على ما نزل بصاحبهم من الظلم والإجحاف . حدث كل ذلك ولكن الحكومة صمّت آذانها فلم تسمع للشاكين ظلامة ولا للعائنين ملامة . ولما ضاع أمله في إنصاف حكومته ، وخاب رجاءه في عدلها وإصاحتها لشكواه غالبه الحزن حتى قضى عليه في مارتشول سنة ١٨٥٢ .

آرائه ومبادئه في التربية

ليس المجال فسيحاً هنا لتفصيل آرائه الدينية والفلسفية ، ولذلك تقتصر على تلخيص الآراء والمبادئ التي اتخذها أساساً للتعليم في روضات الأطفال :

- (١) العقل وحدة بذاتها وليس مقسماً الى قوى مستقلة^(١)
- (٢) أُعِدَّت التربية لمعاونة الطبيعة على الوصول بنشأة الطفل الى الغاية المقدرة لها . ولما كانت الطبيعة تبدئ عملها في نشأة الطفل عند أول نفس ينشقه ، وتستمر الى آخر نفس يلفظه ، وجب أن تسير معها التربية جنباً الى جنب ، وأن يؤخذ بها الطفل من أول يوم في حياته الى آخر يوم منها . غير أنه لما كان نجاح النشأة بأكملها موقوفاً على قوة بدائها ، وجب أن تكون العناية بالتربية في أول أدوار الحياة تفوق كل عناية أخرى .
- (٣) الطفل تتنازعها عوامل ثلاثة فهو ابن الطبيعة وابن الإنسان وابن الله . لذلك يجب أن يكون الغرض من تربيته تمكين رابطته بكل واحد من هذه العوامل الثلاثة ، ومعاونته على إدراك هذه الرابطة وهو في طفولته حتى الإدراك .
- (٤) يجب أن يكون للمربي خبرة واسعة بطبائع الأطفال .
- (٥) يجب أن يلجأ في إغناء قوى الأطفال الى الأعمال الاختيارية الشائقة^(٢) .
- (٦) السرور عامل قوى من عوامل نمو الأبدان والأرواح^(٣) .

(١) كان الاقدمون من علماء النفس يقولون بتجزئة العقل الى قوى مستقلة مختلفة لكل واحدة منها عمل خاص لا يشترك فيه سواها ، ولقد كان فروبل من الطائفة التي سخرت من هذه المعتقدات وقررت أن العقل الانساني وحدة لا تقبل التجزئة ، وأن كل عمل من الاعمال النفسية انما يصدر عن مجموع العقل لا عن جزء من أجزائه أو قوة خاصة من قواه ، فهو أشبه شيء بآلة تشترك جميع أجزائها في كل عمل تقوم به قل أو أكثر .

(٢) الاطفال يميلون بطبائعهم الى العمل كما قدمنا ، واللعب هو أول مظاهر هذا الميل فيهم ، ولما كان من الواجب أن يتخذ من أساليب التربية ما يلائم طبائعهم ، وجب أن تصاغ أعمال التربية الاولى في صور الاعيب مرتبة ترتيباً خاصاً يساعد على انماء القوى الجسمية والعقلية والخلقية معا . فترتيب المنكبات ، وتكوين الصور ، وتشبيك الاعواد ، ونظم الحرز ، وطي الورق ، وعمل السلات والاقفاص وانشاد الشعر موقعاً على الموسيقى ، والحركات النظامية في المشي والجري والوثب ، الى غير ذلك مما هو مألوف معروف في روضات الاطفال ، كلها ألعيب وأعمال معدة لتصرف غرائز الاطفال ، وتوجيه نشاطهم الى جهات نافعة في انماء قراهم الجسمية والعقلية والخلقية .

(٣) فعلينا أن نبذل الوسع في جعل أساليب التعليم جذابة شائقة ، وألا نقدم الى الاطفال من الاعمال الا ما يبعث فيهم السرور ويملاً قلوبهم غبطة وسعادة . ولما كان اللعب اكبر وسائل السرور عندهم وجب أن ندعوهم اليه في كل وقت وحين ، وأن نعمل عليه في تأديبهم ، ونأخذ وسيلة إلى تقويم أبدانهم وأرواحهم

- (٧) يجب أن يؤسس التعليم على المعاينة والمشاهدة .
(٨) يجب أن تكون الدروس قصيرة ومتنوعة .
(٩) لن تكون التربية كاملة حتى ينظر فيها الى حياتى الطفل الفردية والاجتماعية معاً (١) .
(١٠) يجب أن تعمل التربية على إثناء القوى الجسمية والعقلية والخلقية فى آن واحد .

روضات الأطفال

هى مدارس موضوعة لتربية صغار الأحداث بين الثالثة والسابعة من أعمارهم ، وهى حسنة من حسنات فروبل وثمره من ثمار أفكاره ، وعمل من أنبل اعماله فى التربية ، نعم إن لبستالوتزى فضل السبق فى إبداع فكرتها ورسم خططها وتوجيه العقول اليها ، إلا أنه تركها ناقصة غير ناضجة ليس لها غايات واضحة ولا أنظمة ثابتة . أما فروبل فهو صاحب الفضل الأكبر فى تكوينها وتهذيبها وتنسيق أعمالها وسن نظمها وإبرازها فى تلك الصورة التامة الكاملة التى نعهدا الآن ، فلا غرو أن نسبت اليه وعدت من أعماله وثمار أفكاره .

وللتعليم فى هذه المدارس أساليب خاصة تخالف أساليبه فى المدارس الأخرى ، فقد قضى نظامها أن يصاغ التعليم فيها على صور ألعاب يشتهاها الأطفال ويميلون اليها بفطرتهم ، بحيث لا يشعرون فيها أنهم يؤخذون بتربية أو تعليم ، فهم يقضون جميع أوقاتهم هناك فى لهو ولعب ، فرحين بما يأتون من الحركات ، مغتبطين بما يسدى اليهم

(١) اتفق روسو وفروبل على وجوب العناية بحياة الطفل الفردية من حين ولادته ، وأوجب كلاهما أخذه بالألعاب والاعمال الحرة التى يميل اليها بفطرتة والتى تساعد على نمو جسمه وعقله . أما الحياة الاجتماعية فلم يأت به لهاروسو فى أدوار الطفولة الاولى ، بل ذهب الى اغفلها وأوجب أن يجنب لميل معاشره الناس ، وأن يرسل بعد ولادته الى قرى الريف لينشأ بين أحضان الطبيعة بعيداً عن الرفاق والاصحاب الذين يكسبون الشر وذمير الاخلاق . أما فروبل فبراعى هذه الحياة الاجتماعية أشد المراعاة ، ويذهب الى أن كمال الاخلاق غير ميسور لمن لا يعاشر الناس ويخالطهم ، فانكار الذات ولطف المعاملة والرحمة والاناة والحلم واحترام الآراء ، كلها فضائل لا تفرس فى النفس الا بالخالطة والمعاشره . ومن أجل ذلك ابتدع فى رياض الاطفال أنواعا من اللعب يشترك فيها التلاميذ ويتعاونون عليها جميعا .

من « الهدايا » ، مبتهجين بما يُشجَّعون عليه من عمل الغرائز وسد رغبات النفوس .
هذه هي طريقة التعليم في روضات الأطفال ، وهي طريقة ظاهرها لهو ولعب وباطنها
عمل وجد ، فإن الحركات والألعاب التي يأتونها الأطفال لم يقصد بها إشباع الرغبات
وسد أطماع النفوس فحسب ، ولكنها مختارة لغايات تهذيبية ومرتبعة ترتيباً يكفل نمو
الأجسام وشحن الأذهان وتحسين الأخلاق .

أغراض التربية في روضات الأطفال

ليس افضل في بيان هذه الأغراض من أن نسوق الى القارىء عبارة فروبل فانها صريحة
وافية ، قال : « إن الغايات التي ترمى اليها روضات الأطفال هي رعاية الأحداث وتدريب
شئونهم في السنوات الأولى من أعمارهم ، وتأهيلهم للحياة المدرسية التي تأتي بعد ،
والعمل على إثناء قواهم الجسمية ، وتزوين حواسهم ، وإيقاظ مداركهم ، وإقذارهم
على تعرف مظاهر الطبيعة حولهم ، ووقفهم على أسرار الاجتماع والتعاون على الأعمال ،
وتوجيه نفوسهم الى النافع الصالح في الحياة ، وتمكين رابطتهم بالله وغرس محبته في
قلوبهم » . وبذلك نرى أن هذه المدارس ترمى إلى إثناء الجسوم وإيقاظ العقول وإحياء
القلوب بمحبة الله ، لا إلى حشو الرؤوس وملء الحواظ بمسائل العلوم وقضايا الفنون .

أعمال التربية ووسائلها في روضات الأطفال

يرى فروبل أن التربية الصحيحة هي ما كانت مؤسسة على تمارينات عملية متنوعة
تنمي في الأطفال جميع القوى الكامنة جسمية وعقلية وخلفية ، وقد وضع لهذا الغرض
أصولاً عشرة أوجب السير عليها والعمل بها في روضات الأطفال . وها هي ذه :

(١) تقوية المشاعر الدينية في الأطفال ، وسبيل ذلك تعليمهم بعضاً من الأقوال
الدينية الخاصة بالطبيعة والإنسان وصلتهما بالخالق جل شأنه ، يحفظونها عن ظهر قلب
ويرددونها في صلواتهم .

(٢) العناية بالجسم وإثناء قواه ، وسبيل ذلك أخذه بمنهج مدرج من تمارينات
الرياضة البدنية كالحركات النظامية في المشي والرقص .

(٣) التأمل فى مشاهد الطبيعة ، ويتبدى هنا الأطفال بأقرب الأشياء اليهم ، ثم ينتقلون الى ما يليه فى القرب وهلم جرا . ومن الوسائل النافعة فى ذلك حديقة المدرسة ومتحفها والرحلات المدرسية .

(٤) حفظ ما يليق من الأشعار والأغاني القصيرة التى لها مساس بالطبيعة وأحوال المعيشة .

(٥) دراسة اللغة بتمارين قصيرة فى المحادثة يؤخذ بها الأطفال ، على شرط ألا يكون الغرض الأسمى منها تزويدهم بالمعارف وإن حصل ذلك فعلاً .

(٦) تدريب الأطفال على تمثيل الأشكال الطبيعية والصناعية بعمل ما يمثّلها من الورق المقوى والخشب والطين واتخاذ ذلك وسيلة لتمرين اليد والعين والخيال .

(٧) تدريبهم على تمثيل الأشكال الطبيعية والصناعية بخطوط يرسمونها على الورق المقسم إلى مربعات .

(٨) دراسة الألوان ، وسبيل ذلك أن يدرّبوا أولاً على التمييز بين الألوان المختلفة ، ثم على التمييز بين الألوان المتشابهة ، وذلك كأن تُعرضَ عليهم جملة خيوط مختلفة الألوان ، ثم يؤمروا أن يستخرجوا من بينها الخيوط التى لها لون خاص يسمى لهم ، أو أن يميزوا الخيوط التى تتشابه ألوانها ، إلى غير ذلك من التمرينات المختلفة فى دراسة الألوان .

(٩) اللّعب والغناء ، وهما إما أن يكونا مصحوبين بالنغمات الموسيقية أو غير مصحوبين .

(١٠) دروس الأقاصيص والنوادر الخرافية والحكايات التى ترد على السنة الحيوان ، ومن شروطها أن يشار فيها إلى أحوال المعيشة الحاضرة ومشاهد الطبيعة التى يراها الأطفال كل يوم ، وأن تكون مناسبة لفصول السنة وحوادث اليوم .

هـ راياء فروبل

لتسهيل العمل بالأصول السابقة ولتربية الأطفال تربية تسير غرائزهم وتوافق طبائعهم ، ابتدع فروبل جملة من اللّعب سماها الهدايا ، ونصح باستخدامها فى روضات

الأطفال . وهى إن أحسن المربون استعمالها واستخدموها للغايات التى قصدتها واضعها أتت بنفع عظيم وخير جزيل ، فانها إذ ذاك تساعد على إثناء قوى الانتباه والملاحظة والخيال فى الأطفال ، وتقدرهم على استعمال أيديهم وحواسهم استعمالاً صحيحاً دقيقاً ، وتعينهم على إدراك الأشكال والألوان والجهات والأبعاد والمسافات وغيرها من صفات الأجسام وخواصها . وعدد هذه اللعب أو الهدايا عشرون ، وهى مرتبة ترتيباً يقضى بالانتقال من البسيط إلى المركب ، ومن المعلوم إلى المجهول ، ومن الكل إلى الأجزاء ، ومن تمثيل الأشياء تمثيلاً مجسماً إلى تمثيلها تمثيلاً تخطيطياً . وإليك هذه الهدايا على ترتيبها :

(١) الهدية الأولى : وهى مكونة من ست كرات من الصوف مختلفة الألوان ، ثلاث منها ملونة بالألوان الأصلية ، وهى الأحمر والأصفر والأزرق ، وثلاث بالألوان الفرعية وهى البرتقالى والأخضر والبنفسجى . وانما اختيرت الكرة لتكون أولى اللعب أو الهدايا لأنها أقل الأجسام تعقيداً وتركيباً ، إذ ليس لها زوايا ولا سطوح مختلفة ، ولأن منظرها لا يختلف من أى جهة نظرت إليها . والغرض الأسمى من هذه اللعبة تعليم الأطفال الألوان والجهات وكثيراً من خواص الأجسام ككون الشئ ثقيلًا أو خفيفًا ناعمًا أو خشنًا يابسًا أو رخوًا ، ثم تمرين أطرافهم على الحركة فى الجهات المختلفة ، وأخذهم بكثير من العادات الطيبة والأخلاق الحميدة كحب التآلف والرغبة فى التعاون على الأعمال ، وكبغض العزلة والانفراد .

(٢) الهدية الثانية : وهى مكونة من كرة وأسطوانة ومكعب وكلها مصنوعة من الخشب . والغرض منها أن يتعلم الأطفال ما للأجسام من الأشكال المختلفة ، وأن يدربوا على الملاحظة الصادقة والتأمل فيما حولهم من الأشياء ، وأن يؤهلوا لدراسة الهندسة والرسم .

(٣) الهدية الثالثة : وهى مكونة من مكعب كبير مقسم إلى ثمانية مكعبات صغيرة متساوية يعدها الأطفال ويرتبونها على أشكال متنوعة ، ويبنون منها أمثال الأبواب والشبابيك والقلاع . ومن هنا كان الصندوق الذى تحفظ فيه هذه اللعبة يسمى صندوق البناء الأول .

والغرض من هذه الهدية تعليم الأطفال العدّ والجمع والطرح والضرب والقسمة ومبادئ الكسور ، وتربية الأذواق السليمة فيهم بما يأتونه من ترتيب هذه المكعبات وتنسيقها على أشكال متنوعة ، وتقوية روح الاختراع بما يبتدعونه من الأعمال التي يدفعهم إليها الخيال ، وغرس كثير من الأخلاق الفاضلة في النفوس كحب العمل والاعتماد على النفس .

(٤) الهدية الرابعة : وهي مكعب كبير مقسم الى ثمانية مستطيلات ، كل مستطيل منها طوله ضعف عرضه ، وعرضه ضعف سمكه ، ويسمى صندوق هذه الهدية صندوق البناء الثاني

وأغراض اللعبة الثالثة تأتي جميعها هنا ، ويزاد عليها تأهيل الطفل لتلقى دروس راقية في الرسم والهندسة ، وتعويد التدقيق في العمل والتحرز من الخطأ ، فإن بعض الأعمال التي يكلفها الطفل هنا تستدعى وضع المستطيلات بترتيب خاص بحيث إذا وُضع مستطيل مكان آخر فسد العمل جميعه .

(٥) الهدية الخامسة : وهي مكعب كبير مقسم الى سبعة وعشرين مكعباً صغيراً ثلاثة منها مقسمة إلى أنصاف ، وثلاثة أخرى الى أرباع ، فتكون القطع جميعها ٣٩ قطعة . والغرض من هذه اللعبة أن يتوسع المعلم مع التلاميذ في دراسة الأعداد والأشكال ، وأن يقدم اليهم سلسلة مطولة من التمرينات البنائية . وتحفظ هذه اللعبة أيضاً في صندوق يسمى صندوق البناء الثالث .

(٦) الهدية السادسة : وهي مكعب مقسم الى سبعة وعشرين مستطيلاً ، ستة منها مقسمة أنصافاً بحيث يتكوّن منها اثنا عشر مكعباً ، وثلاثة مقسمة طولاً بحيث يتكون منها ستة أعمدة ، فتكون القطع جميعها ٣٦ قطعة .

والغرض من هذه اللعبة التوسع في تمرينات العد والهندسة وأعمال البناء ، ويدعى صندوقها صندوق البناء الرابع .

(٧) الهدية السابعة : وهي مكونة من خمسة صناديق مملوءة قطعاً خشبية رقيقة تمثل أشكالاً هندسية مختلفة وألوانها متباينة ، فالصندوق الأول مملوء مربعات ، والأربعة الباقية مملوءة مثلثات مختلفة الأشكال .

والغرض منها تزويد الطفل بكثير من المعارف الهندسية ، وتوسيع دائرة علمه بالأشكال والألوان ، وأخذ بأعمال الزخرفة التي تساعد على تربية ذوقه وتهذيب خياله (٨) أعواد يرتبها الأطفال ترتيباً خاصاً ليمثلوا بها الرسوم المكونة من خطوط مستقيمة ، ولا بد من التدرج في هذه التمرينات من السهل الى الصعب .

(٩) حلقات كاملة وأنصاف حلقات ، وقد جرت العادة أن يوجد من النوع الأول ٢٤ حلقة ، ومن النوع الثاني ضعف هذا العدد ، وهنا يبتدىء الطفل العمل بحلقة ونصف حلقة لا غير ، ويتدرج في العمل مستخدماً عدداً أكثر حتى ينتهى باستخدام جميع ما عنده في تكوين شكل واحد . وبهذه الهدية يعرف الطفل الخطوط المنحنية والدوائر وأنصاف الدوائر ، ويتسع أمامه المجال للتنوع والافتنان في تكوين الأشكال .

- (١٠) أدوات للرسم .
- (١١) أدوات لتثقيب الورق .
- (١٢) أدوات للتطريز والزر كشة .
- (١٣) أدوات لتقطيع الورق الى قطع صغيرة تُكوّن منها أشكال مختلفة .
- (١٤) أدوات للنساجة والضفر .

الهدايا الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة : وهى مكونة من مواد للضفر والجدل والتشبيك ، وهى إما شرائح خشبية رقيقة مارنة تشبه خوص النخل ، وإما شُقَق من الورق مستطيلة تشبه الشرائح السابقة ، يأخذها الطفل ويجدها جدلاً خاصاً ويكون منها أشكالاً مختلفة مدرجة مستعيناً بإرشاد المعلم ونماذجه .

- (١٨) أدوات لطى الورق .
- (١٩) أسلاك رفيعة وجمّص منقوع ، لتكوين أشكال متنوعة بإدخال الأسلاك في الحب على نظام خاص .

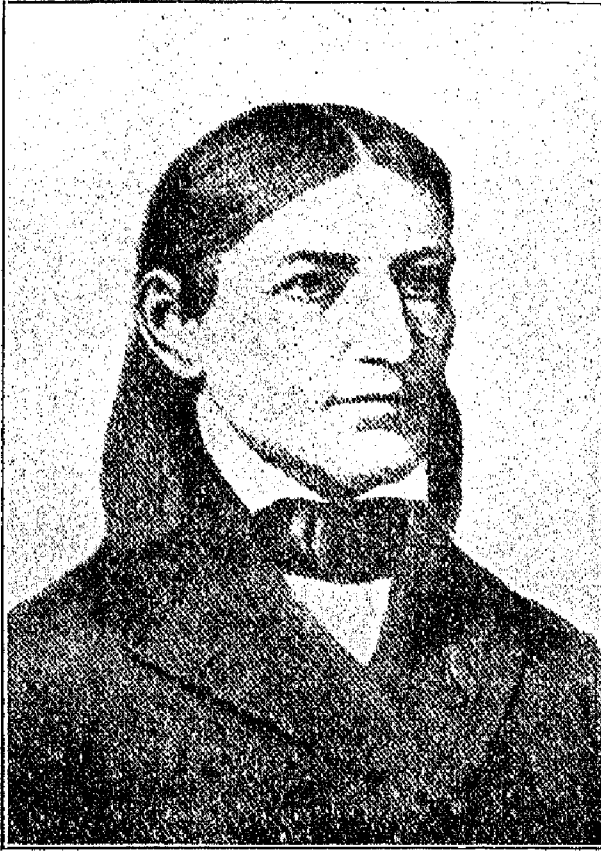
(٢٠) طين رخو سهل التشكيل لعمل صور ومثل متنوعة .

هذا ولا متسع هنا للكلام على هذه الهدايا وإيفائها ما تستحق من الشرح والبيان ، تاريخ التديّة (٤٥)

وقد وضع كثير من المربين والمربيات في أوروبا وغيرها كتبًا واسعة في أغراض هذه اللعب وطرق استعمالها، واستعانوا على إيضاحها بالرسم والتصوير.

وهوب اسناد التربية في روضات الاطفال الى النساء

رأى كثير من المربين أن تسند تربية الأحداث الصغار الى النساء ، وكان فروبل



فردريك ولهم فروبل

١٧٨٢ - ١٨٥٢

من أسبقهم الى ذلك رأى وأشدهم إيمانًا به ، لأن في النساء ما ليس في الرجال من الخلائق والطباع التي تساعد على حضانة الأطفال وتدير شئونهم ، فمن أصبر على تعليمهم وأملك لقلوبهم من الرجال ، وهن أرق جانبًا وأعطف قلبًا وأرحب صدرًا ، وما أقرب طباعهن من طباع الطفولة وأسهل امتزاج أرواحهن بأرواح الأحداث الصغار ! قال فروبل « إن أزمة الممالك معقودة بنواصي الأمهات ، ومستقبل الشعوب رهن بأيدي النساء ، فمن أبلغ تأثيرًا في إنهاض الأمم من الغزاة الفاتحين ، ولذا

كان واجبًا علينا أن نعطي المرأة حظها وافراً من التهذيب والتعليم ، لتستطيع بذلك أن تخرج لأمتها رجالاً مهذبين يقومون بواجبهم في نصرة الوطن وإعزازه . »

وقد رأى فروبل أن النساء خير من يُعنه على الإصلاح الذي أراده ، فدعاهن الى معاونته ومناصرته ، فأجبنه وحققن أمله وكن له عونًا على ما أراد واليهن يرجع الفضل في نشر دعوته وإذاعة مبادئه الإصلاحية في القارتين الأوروبية والأمريكية .

التربية المنزلية لا تغنى عن روضات الأطفال

اتفق كثير من المربين على أن تسند تربية صغار الأحداث الى النساء كما بينا فيما مضى من القول ، الا أنهم اختلفوا فيمن يتولى من النساء هذه التربية ، أتتولاهن الأمهات فى المنازل أم غيرهن من النساء فى المدارس ودور التعليم ؟ فمن ذهب الى أن الحدث تابع لأسرته ولا علاقة له بالحكومة ، يرى أن تتولى الأم تربيته فى المنزل ، وزعيم هذا المذهب بستالوتزى . ومن ذهب الى أن الولد تابع للحكومة لا للأسرة أوجب على الحكومة أن تتولى أمر تربيته فى المدرسة ، وزعيم هذا المذهب فشيت أحد فلاسفة الألمان المشهورين . أما فروبل فقد رأى أن يسير بين الفريقين ويجرى فى قصد السبيلين ، فقرر أن الولد تابع للأسرة والحكومة معاً ، وأوجب أن يشترك المنزل والمدرسة فى تربيته إذا بلغ الثالثة من عمره . على أنه رأى أن لتربية الطفل فى المدرسة إذا بلغ هذه السن فوائد لا يستطيع الحصول عليها فى المنزل مهما بلغت الأم من العلم والذكاء والقدرة على أعمال التربية والتهديب ، وذلك لأن الطفل لا يجد فى المنزل من الخلقاء والعشراء من يماثلونه فى سنه وتفكيره ، فإنه إن نظر الى أبويه وجدتهما فى مستوى أرقى وأعلى من مستواه ، وإن نظر الى إخوته وجدهم أصغر منه أو أكبر سنًا . أما فى المدرسة فإنه يجد كثيراً من لذاته وأقرانه الذين ينخرط فى زميرهم ويشاركهم فى أعمالهم وألعابهم ، فيكسب من وراء هذه الحياة فوائد عظيمة ، إذ تربي فيه العواطف الاجتماعية ، ويتعود ضبط النفس وإنكار الذات ، وينشأ على احترام ما لغيره من الحقوق . ومن هنا كان فروبل يرى أن المنزل لا يغنى فى التربية عن روضات الأطفال .

انتشار رياض الأطفال

(١) فى ألمانيا : قبل وفاة فروبل قامت فى ألمانيا مدارس قليلة على مثال روضة الأطفال المعروفة فى كيلهو ، ولكنها لم تلبث أن فوجئت بقرار من الحكومة البروسية قضى بإغلاقها جميعها ، بتهمة أنها ذات نزعة اشتراكية تخشى عواقبها ، وقد بقى هذا القرار

مرعياً عشر سنوات كاملة ، ثم رُخِّص للناس بعد ذلك في إنشائها ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تنل من التقدم ما كان مرجوًّا لها . وهكذا قدر لروضات الأطفال أن تكسب سوقها وتذهب ريجها في موطنها الذي ولدت فيه .

(٢) في فرنسا : تعد فرنسا أول مملكة اتسع فيها نطاق مدارس الأحداث الصغار ، إلا أن مدارسها هذه لا تشبه روضات الأطفال من كل الوجوه ، فإن نظامها وطرائقها ومواد التدريس فيها لا تتفق هي والمبادئ الفروبلية إلا الى درجة محدودة . ومدارس الأحداث الفرنسية على حدثة تكوينها لها حظ كبير من النجاح ، إذ يتعلم فيها الآن أكثر من ٥٠٠.٠٠٠ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والسادسة .

(٣) في إنجلترا : دخلت هذه المدارس في إنجلترا سنة ١٨٥٤ وعاضدها كثير من الكتاب ورجال العلم ، ومنهم « دِكِنز » الروائي الشهير ، وقد كانت في أول أمرها قليلة خاصة بأولاد الأغنياء والمترفين ، ثم أخذت تنمو وتتفك سوقها غير أنها لم تدخل ضمن النظام المدرسى في هذه البلاد إلا منذ سنة ١٨٧٤ .

(٤) في الممالك المتحدة : لم تكن روضات الأطفال في مملكة ما أرفع شأنًا ولا أعظم خطراً ولا أكثر شيوعاً منها في الولايات المتحدة . وأول من دعا إليها في هذه البلاد طائفة من فضلاء الألمان الذين هاجروا إليها لاضطراب الأحوال وانتقاض الأمور في بلادهم ، وكان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر أو بعده بقليل . ثم نهضت على إثر ذلك المربية الشهيرة « اليصابت پيبدى » فأسست أول روضة للأطفال في مدينة « بوستن » سنة ١٨٦٠ ، ولم تمض على ذلك عشر سنوات كاملة حتى أنشئ من هذه المدارس عدد غير قليل على نفقة الأهلين . وفي سنة ١٨٧٣ جعلت روضات الأطفال جزءاً من النظام المدرسى في هذه البلاد ، وكان ذلك بفضل قوم من أنصار فروبل في أمريكا يقودهم الدكتور « هرس » والسيدة « سوزان باؤ » . ومن ذلك العهد درجت هذه المدارس في سبيل الرقى والانتشار في هذه البلاد حتى أصبحت الولايات المتحدة لا توجد فيها مدينة صغيرة أو كبيرة إلا وروضات الأطفال تعد ضمن مدارسها العامة التي ينفق عليها من مال الحكومة .